

كلمة العدد :

سنة تولد وأخرى تموت

بقلم : عمر عبد الله الكتراري

(1) ولادة تعقبها فرحة وانتسامة ، وأمل ورجاء، وثقة وشك، وتوقع قد يصحّ وقد يخطئ لكن يعهد للتفاؤل كي يبدّد الخيفة ويزرع اليقين ويحيل المشهد إلى خضرة وبياض، إلى فضاء مزهر يغريك بالتقدّم نحوه والتوغّل فيه، والانشاح بدفته.

إنّها الحياة... يكفي أن تتسم لك طرفة عين لتنسى اللوعة والأسى، والظلمة واليأس، والقسوة والشذائذ، فتخلق في عالم ملائكيّ من السعادة وتنسى سرعة ضمور الجناحين وسرعة نضوب طاقة التحليق.

(2) وموت يعقبه ...

هل كلّ موت يعقبه لوعة وأسى، ودموع وحزن؟ ليس الأمر كذلك، فكم من موت أجرى السعادة في الآخرين وأهدى البسمة لمن فقدوها.

أليس في الموت حياة ؟

أهل الاختصاص يقولون إنّ الخلايا السرطانية خلايا تأتي الموت فتسبّب الموت بينما الخلايا السليمة تموت فتحيي .

ألا يكون الموت أمنية أحيانا ؟

هل موت طاغية يشيع القتل والتدمير بغير حقّ ويعلو في الأرض

كارثة أم نعمة ؟

في هذه الحالة الولادة كارثة والموت رحمة .
 قيل في مناسبة شبيهة " أيّ حقّ رفع وأي باطل وضع " لا الولادة
 غير مطلق ولا الموت شرّ مطلق .
 كلاهما وجهان لعملة واحدة .
 قدرتي وقدرك أن تتأرجح بين الأضداد .
 أن ننعم بولادة ونحزن لموت أحياناً .
 وأن نلعن ولادة ونفرح بموت أحياناً أخرى .
 حسبك قول الشاعر :

ثمانية يجري على العبد حكمها ولا بدّ للمرء أن يلقي الثمانية
 سرور وحزن واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثمّ سقم وعافيه
 هل هذه سنة وتلك أخرى أم هو الدهر، هو الزّمن الذي يقبل
 التجزئة بفعل فاعل يشرّع التقسيم لسبب أو لآخر ؟ فيثري قاموس
 النعوت ويصبغها على هذه وتلك : من "مبروكة" إلى نقيض ذلك .
 نطقت حكمة أبي العلاء المعري أيضاً لتقول :

فأيّام هو الدهر كلّهُ وما هُنَّ غير الأُمس واليوم والغد
 وما البدر إلّا واحد غير أنّه يغيب ويأتي بالضياء المجدّد
 كلّ ولادة وأنتم بخير .

روايات البشير خريف

بقلم : عبد المجيد يوسف

في أول مصافحة لي مع قراء مجلّتنا الغراء أودّ أن أساهم بالحديث عن أحد رواد الرواية في تونس وهو، وإن كان من الرواد الأوائل إلى جانب محمود المسعدي والطاهر قيقّة والطيب التريكي وصالح القرمادي (1) فقد ظل أستاذا معلما للجيل الذي عقبه، ناهيك أن كتاباته القصصية اتخذت مواضيع لعديد البحوث الجامعية في مستوى الدراسات العليا بالجامعات التونسية كما تناولت أدبه أنطولوجيًا وتحليليًا عديد الأطروحات في الجامعات الأجنبية إضافة إلى ترجمة آثاره إلى أهم اللغات الأوروبية (2).

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ولد البشير خريف بنقطة من إقليم الجريد بأعالي الصحراء التونسية في العاشر من أبريل سنة 1917. ارتحل عن موطنه إلى العاصمة تونس في الشمال وعمره سنتان. وفي كتاتيب العاصمة وبالمدرسة القرآنية تلقى تعلمه الأول، ثم التحق سنة 1925 بالمدرسة العلوية، لكنه فصل بسبب ضعفه في الرياضيات، بيد أنه حذق اللغة الفرنسية مما سيفتح له نافذة على الآداب الغربية، الفرنسية والإنجليزية، وبعد انقطاع طويل عن الدراسة، وبعد الزواج من امرأة جزائرية، شاهدها في بيت الجيران تقرأ ديوان حافظ الشيرازي فاجذب إليها، عاد إلى المدرسة الخلدونية، فمعهد الدراسات العليا فنال شهادته (3).

أثناء الحرب العالمية الثانية اشتغل في إحدى أسواق العاصمة بتجارة الحرير والقطن وغنم كثيرا ثم سرعان ما بدد ما ربح والتحق بالتدريس في جهات مختلفة من البلاد واستقر نهائيا في العاصمة بعد أن أحيل على المعاش.

كان من عادته أن يظلّ يوم العطلة الأسبوعية متفرغا لأهله فلا يلتحق لا بمجالس الأصحاب ولا بالنوادي الأدبية. لكنه يوم الأحد الثامن عشر من ديسمبر (كانون الأول) 1983 اختلف إلى مجلس الأصدقاء بالمقهى، وما لبث أن قام ودفع ثمن شرابه واعتذر بضيق وإرهاق شديد، ثم انهار فنقلوه على المستشفى، فتوفي في مساء ذات اليوم.

يصنّفه النقاد ومؤرخو الأدب في تونس ضمن رواد الواقعية، فقد مكّنه اختلاطه بالناس في موطنه -الذي لم تنقطع صلته به أبدا- وفي الأماكن العديدة التي اشتغل بها ومن إقامته الطويلة بالأحياء العتيقة بالعاصمة، من أن يكون الواقع -سواء أكان معيشا أم متخيلا أو مستحضرا من التاريخ- مستوحى أساسيا لما يكتب وقد تجلّت واقعيته خصوصا في مظهرين أساسيين نذكرهما الآن إجمالا ونفصّل القول فيهما لاحقا وهما استقاء مواضيعه من المعيش اليومي في حركة متابعة الإنسان التونسي الصميم في تصرفاته ومواقفه وتقلباته بين شؤون الحياة، راضدا منه الطريف والساحر والعاطفي والساذج والماكر والحالم والفقير والقانع... مما يمثل برنامجا لفسيافساء اجتماعية.

أما المظهر الثاني فهو انتقاء لغة جامعة بين مراتب لغوية متعددة سعى من خلالها إلى ملامسته الروح التونسية في تنوع مشاربها وتعدد روافدها.

وقد كلفتته اختياراته الفنية عداء الكثير من رموز الكتابة الأدبية وذلك لما نشر روايته الأولى "إفلاس" أو "حبك درباني" (4) مما حدا به إلى الصمت فترة طويلة مجابها دعاة "الفصاحة" بالانسحاب من ساحة الكتابة، لكنّه لما عاد إلى الكتابة عاد محافظاً على النهج الذي اختاره في رواية "إفلاس" مما يدلّ على قناعة وإصرار، وعلى أنه لا يكتب كما يكتب من قبيل الصدفة، فكان أن أصدر روايتين ومجموعة قصصية، وسوف نعود في ما يلي من هذا الحديث إلى تسليط بعض الضوء على أعماله متوخين الإيجاز ما استطعنا طامحين على الإحاطة بالموضوع ما أمكن.

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

رواية إفلاس أو "حبك درباني"

تتعلق هذه الرواية بحياة "إمرأة عامة" (كما يقول الفرنسيون) يتعرف عليها أحد رجال المسرح: الشيخ اسماعيل الصّدراني في وضع من اليأس غير مريح فينتشلها منه ويسكنها بيته ويحاول أن يخلق منها فنانة ممثلة تحت اسم مستعار "فوزية نعيم" أسوة بممثلات الشرق المتخذات أسماء ذات وقع، لكنها كانت خرقاء لا تحسن الأداء، ولم تكن قادرة إلا على فنّ واحد: الإغراء بأنوثتها الساذجة فيعلق بها أحد أفراد الفرقة الشاب اللاّ هي السادر : سليم اليرجين وتعرف علاقتهما إقبالا وإدبارا، لكن

الشباب يكتشف ان صاحبه بغيا مرتزقة بيد ان لا فكاك من جبهها... وأحداث الرواية تدور سنة 1925 وهي سنة شديدة الأهمية في الكفاح التحريري على مستوى القطر، وعلى مستوى العالمين الإسلامي والعربي: ففي الداخل: هناك نشوء النقابات وحجب الصحف الوطنية واستثناء الجالية الاسرائلية التونسية من انظار العدالة التونسية من طرف السلط الاستعمارية (5) وتنخرط البلاد في سلسلة من المواجهات توجت بتحدّ صارخ للوطنيين ولمشاعر المسلمين وهو انعقاد المؤتمر الأفحارسّي بقرطاج سنة 1930 (6) لكن الرواية لم تتعلق أي حدث منها بهذه التطورات الخطيرة في التاريخ التونسي مما جعل د. محمد فريد غازي في مقاله المحال عليه يتحدث عن غياب الإطار ويجعل الإشارة على التاريخ (سنة 1925) لا معنى لها. ولا تحفي لجهة الاستغراب من مقاله "فالقارئ لا يجد أي علامة تدلّ على أن حوادث القصة تدور سنة 1925، إن الإطار التاريخي لا وجود له بالمرّة والبيئة التاريخية معدومة تماما" (7) وإن في النص لما يعارض رأي محمد فريد غازي . فالرواية ، وإن لم تبد عليها ملامح الرواية التاريخية على النمط الذي كتبه جرجي زيدان او علي الحارم أو كرم ملحم كرم فإن روح التاريخ ضائعة من كل سطر منها، ففريد غازي ينطلق من مقاييس جدّ تقليدية عن تصوّر الرواية التاريخية، وفي انتظار أن نزيل سدول الفن الحاجبة للتاريخ نشير إلى خصيصّة تميز بها خريف في تعامله مع التاريخ واستلهامه مادة قصصية هي أنه لا يكتب تاريخ الملوك مثلما يفعل كتاب الرواية

التاريخية بل يكتب تاريخ الاجتماع وتفاعلاته إزاء الملوك وأحوال السياسة: ففي "برق الليل" وهي رواية تاريخية لا نجد سوى إلماعات قليلة إلى الشأن السياسي فليس هناك من تركيز يذكر على الغزو التركي بقيادة خير الدين بربروس ولا فرار الحسن الحفصي للاستنجاد بالإسبان، بل هناك تركيز على مقاومة التونسيين للغزاة سواء أكانوا أتراكا أم إسبانيا من خلال بطولة عبد آبق من سيده، وفي رواية "الدقلة في عراجينها" ينفر كذلك من التاريخ السياسي على تقيض غيره من كتاب جبل الستينات من التونسيين فلا نجد سوى إلماعات تحتمها طبيعة العلاقة بين الكاتب والسلطة وصدور الرواية عن دار نشر حكومية (ليس هناك من خيار آخر).

ولكن رغم ذلك تظل رواية إفلاص عابقة بالتاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي فهذه الفترة (1925) وما بعدها لم تشهد قضية نشوء النقابات والمجاهدات بين التونسيين والسلط الاستعمارية فحسب ولكن كان هناك غليان بين المثقفين التقليديين والمثقفين العصريين، بسبب النزعة إلى التحرر الاجتماعي (قضية السفور.. قضية الطاهر الحداد...) ثم هناك المشاكل الاقليمية وخوض طائفة من المثقفين التقليديين في قضية الخلافة بعد ظهور الحركة الكمالية في تركيا، واعتبار أتاتورك منقذا ثم التحلي عن اعتباره كذلك بعد حذف الخلافة وخلع السلطان عبد المجيد (8) كل هذا لا نجد له أي صدى في الرواية رغم تعدد أطرافها وتنوع مواقعهم الاجتماعية والثقافية أفلا يعتبر ذلك مسبرا

لدرجة الوعي السياسي والمشاركة السياسية ؟ ألا يقدم هذا رؤية بمحالات العمل السياسي: في أي وسط يتركز : فالرواية تقول لنا: هناك أوساط لا تهمها لا قضية الخلافة، ولا القضية الوطنية ولا القضية النقابية ولا قضية السفور ولا غيرها من القضايا الاجتماعية... - وفي خصوص الاجتماع نقول إن الرواية كتبت لصيقة جدًا بتاريخ تحريرها : إنها نظرة آنية (سكرونية) لفترة من التاريخ الاجتماعي للتونسيين فهناك استعراض شديد الوضوح للعلاقة بين الرجل والمرأة في الحياة الثقافية والفنية والاقتصادية وفحص عن التدنّ العام والتأثير الديني ومداه وكشف عن وسائل النقل وأنشطة المعاش، والمعمار... كل هذا وغيره يمكن تحصيل معرفة به عند قراءة الرواية.

وفي ما يخص التاريخ الثقافي: تقدم الرواية مادة تاريخية يمكن استخلاصها من السرد والوصف والمحاورة، مادة شديدة النقاء عن الوسط المسرحي فنحصل على إجابات عن أسئلة من قبيل: ماهو وضع الممثل؟ هاو أم موظف ام محترف لحسابه الخاص؟ وما محتوى المسرح وما وظيفته أو أي دور للمرأة فيه؟ ومن هي المرأة الممثلة؟ وما رؤية الناس للمسرح؟ وكيف يتفاعلون معه؟ ...

وهكذا نجد أن فريد غازي لما كتب رأيه هذا كان ينطلق من مقاييس جاهزة، وتقليدية هي التسجيلية والتلقين التاريخي، كما نستنتج مدى ثراء الرؤيا الروائية عند خريف وتطور كتاباته في وقت كانت فيه الرواية في تونس تتحسس سبيلها، بل كانت تتخلّق، ولمّا تكتمل

معالمها.

برق الليل

هي الرواية الثانية للمؤلف (9) وقد وضعها خصيصا لنيل جائزة على البلهوان (10) التي كانت ترصدها بلدية العاصمة للإنتاج الأدبي المستوحى من تاريخ المدينة أما مادة هذه الرواية فمستخرجة من عمل روائي كبير عنوانه "بلارة" تشعب على المؤلف حتى تركه ومات دون إتمامه (11).

والعنوان من الأضداد، وهو عبارة تطلق في تونس تحببا على الزنوج، ومادة الرواية تاريخية إذ اتخذ المؤلف النصف الأول من القرن السادس عشر وأحداثه التي شهدتها تونس معينا لعمله. الرواية تقص حياة عبد أسود، استعمله سيده في معمل الكيمياء وكلفه ببعض الأعمال الموصلة إلى اكتشاف إكسير الحياة، فينصرف عن الأخلاق التي يجب أن تتم في لحظة معينة من حركات النجوم على طرق الأواني النحاسية مما حذب امرأة شابة من بيت الجيران سافر عنها زوجها الشيخ إلى الحج، فأطلت عليه من كوة في السقف، فنشأت بينهما قصة حب جارف ومستحيل، ويساهم الزنجي الآبق- بما أوتي من ذكاء وبداهة في الإيقاع بعسكر الترك الذي غزا المدينة، ثم يسمم بئرا يرتوي منها عسكر الاسبان بالزرنيج فيموت منهم خلق كثير ويجلون عن المدينة ويتوج الزنجي رجلا صالحا ويعتق، ولم تعد تحجب عنه النساء وعن فيهن حبيبته، لكنه يفضل ان يسبح ضاربا في الأرض.

وعند صدور الرواية في بداية الستينات ظلت حديث مختلف طبقات التونسيين خاصة بعد تحويلها مسرحية إذاعية (12) كما اهتم بها النقاد من زاويتين أساسيتين : كيفية استعمال المؤلف للتاريخ والتداخل بين مراتب اللغة في فضاء النص الواحد.

ففي المسألة الأولى سبقت الإشارة إلى نفور المؤلف من تاريخ الملوك واهتمامه بنشاط العامة تحت وطأة الحدث التاريخي، وقد كتب في هذا، د. رياض المرزوقي (13) بحثا موجزه أن رواية برق الليل تحتفظ بشيء من الرواية التاريخية الكلاسيكية حيث الإطار التاريخي يشكل حيطا قصصيا يربط بين حلقات الأحداث ومضائر الشخصيات إلا أنه قطع مع شكل الرواية التاريخية الكلاسيكية كإضفاء الروح الفنية للمؤلف.... ثم إن الشخصية الأسطورية ليست أمورا ولا قائدا عسكريا بل هو شخص من العامة لا علاقة له بالسلطان وهكذا فإن خريف قدم تصورًا للكتابة التاريخية الدرامية مخالفة لأعمال الإخباريين وللرواية التاريخية على النمط البلاغي الذي تشبع منه في مرحلة التكوين، وفي لقاء معه فرق المؤلف بين كاتب يتخذ التاريخ هدفا وآخر يتخذ إطارا (14).

أما مسألة التداخل بين مراتب عدة من اللغة في النص الواحد فهي اختيار تبعه المؤلف في كل كتاباته، فأنت واحد لغة القرآن الفصحى، أي اللغة القديمة أدرجت اقتباسا مدحا في نسيج النص حتى لا تكاد تشعر بمصدرها تنضاف إليها لغة الأمثال القديمة والأشعار والأقوال

المأثورة ... ثم هناك اللغة الفصحى العصرية المستعملة في وسائل الإعلام والكتب الحديثة، ثم هناك العامية التونسية، مدججة هي الأخرى في نسيج النص، في السرد والوصف والمحاورة... وأخيرا هناك الدخيل من الفرنسية والإيطالية مما هضمه اللسان العامي التونسي تعريبا أو تبنيا واستعارة... هذه المراتب الأربع أدرجت في الخطاب القصصي إدراجا متناسبا متوافقا فلا تكلف ولا تنافر إنما هو انسجام شامل بين النصوص المتباينة الأحقاب والمنابت، بطريقة فذة تعكس التداخل والانصهار للروافد الثقافية لشخصية المؤلف نفسه وللمثقف التونسي المحضرم الناهل من جميع ما تصل إليه يده من نتائج المعرفة والفنون.

الدقلة في عراجينها (15)

هي روايته الثالثة، ألّفها في يناير 1966 وقد ظهرت في فترة حرجة من تاريخ تونس المستقلة، حيث كان الاقتصاد قد اتخذ وجهة الاشتراكية القسرية عمدت فيه الحكومة إلى الحذف التدريجي للملكية الخاصة ودججت الفلاحين وصغار التجار في تعاضديات تشبه السوفكور السوفييتي أو التعاونيات الصينية، وقد قاوم المزارعون وصغار التجار مصادرة ممتلكاتهم مقاومة سلبية فقعدوا عن الإنتاج وأهملوا مواشيهم وفرطوا فيها... أما المثقفون وهم إما طوباويون آخذون بالفكر الاشتراكي على نحو ما أو صادرون من الطبقات المحرومة، أي أنهم من غير المالكين وليس لديهم ما يخشون عليه التأميم فقد كتبوا إنتاجا غزيرا في دعم الاختيار السياسي وتبنت الدولة إنتاجهم وساعدت على نشره

خاصة وهو يدعم توجهاتها في معاداة الناصرية ومقاومتها والمناداة بالتونسية... في هذه الفترة الحرجة من التملل الايديولوجي ظهرت الدقلة في عراجينها مساهمة في نسف المؤسسة التقليدية حاملة على غمط الإنتاج العتيق الذي تضطلع به "العائلة" التي عوضتها التعاضدية وأكدت على أن هذا النمط ليس من شأنه تطوير الإنتاج، ولا يكتل وسائل الإنتاج بل يشتتها عن طريق التفتت بواسطة الميراث، إضافة إلى كونه فاسدا أخلاقيا لما يحاك داخله من الدسائس والصراع على الملكية. كما تحمل الرواية على الفردانية والأنانية الموروثة من غابر العهود. وتشيد كذلك بكفاح التونسيين الاجتماعي ضد الميز العنصري في العمل إذ أن قسما هاما من أحداثها يدور في مناجم الفسفاط بالمتلوي بالجنوب الغربي التونسي كما تسجل بداية الوعي بالتمكثل النقابي وإدراك المصلحة المشتركة بين العمال والإيمان بضرورة العمل الموحد، هذا بالإضافة إلى كفاح الفرد في سبيل ما يخصه من لوازمه الوجدانية كالحب والحرية الذاتية ضد هياكل أخلاقية بالية تعوق تحرر الأفراد وتصادر حريتهم في الاختيار وتكبل رغائبهم الأساسية.

ولا تشذ لغة الرواية عن نهج المؤلف المتبع في الأعمال السابقة مما يؤسس نمطا خاصا وأسلوبا مميزا مركزة أسسه بوعي وعناية، لكنه دال في آن واحد على غياب فكرة التجريب في فترة تميز فيها الأدب التونسي بالبحث الدؤوب على أشكال مستحددة وأنماط غير مسبوق إليها (16) بل إننا لنقرأ في محاورات نظمها معه صحفيون أدباء نفروه

من النظريات، فحين سئل عن "الواقعية" قال "لا أعرفها" (17) فهل أن غياب الأطر الأيديولوجية النظرية فيما يتعلق بالأدب قد حلت محله أيديولوجية المضمون؟ ربما، لكن ذلك لم يحرم أدبه من شحنات جمالية عالية وطاقات تأثيرية نابعة من سذاجة لا تقدم لك واقعا متفلسفا أو واقعا مفلسفا على غلط كتابات "ميلان كنديرا" بل هو واقع وكفى، وعليك ان تسبغ عليه من فلسفتك الخاصة - إن كان لك واحدة-

مشموم الفل

هي مجموعة قصصية (18) احتوت على خمسة نصوص هي : خليفة الأقرع ورحالة الصيف ومحفظة السمار والنقرة مسدودة والمروض والثور .

وتتمثل النصوص الأربعة الأولى بمناذج اجتماعية هي : "الهامشي" الذي يستثمر عاهته (القرع) لينفذ إلى أوساط الحرم والعالم المخملي للنساء وينفذ من سلطان التحريمات المسيح للإناث وتجد فيه النسوة الثمرة الساقطة التي تمسح وتوكل بشيء من التقزز، على مسغبة، أما القصة الثانية فبطلها نموذج الرجل النازح بعائلته من الريف الفقير إلى تخوم المدينة، وهي ظاهرة كابد منها المجتمع التونسي طيلة عقدي الستينات والسبعينات ولم تتوقف إلا بعد تحضير الأرياف، وتعرض القصة ما يعترض هذا الصنف من المواطنين من عنت في "محاولة العيش" وانغلاق المدينة على نفسها لصدة الوافدين، أما الثالثة فهي قصة فتاة فاتما قطار الزواج كما يقولون يتعلق قلبها أحد الشبان المناضلين- ويسقط الحبيب

شهيدا أيام الكفاح التحريري ، وهي فيما يبدو اقل قصص قيمة فنية لأنها افتقدت روح المرح والسخرية التي طبعت كافة أعماله حتى ذات المنحى التراجيدي مثل "الدقلة في عراجينها". أما "النقرة مسدودة" فهي تصور نموذج الفلاح الذي يحاول تسليق السلم الاجتماعي فيروم اكتساب سلوك البرجوازية المدنية ومعايشها، مع المحافظة على ارتزاقه من فلاحية الأرض، فيتعثر، وترفض الطبقة المشتهية بأن تجعله - أو يجعل نفسه- في نظر ضيفه أضحوكة- والقصة في منحها الساخر، وفي مضمونها قريبة على نحو ما من رواية الكاتب الفرنسي : مولير "لوبيرجو جنتيوم" ، ولم تشذ لغة المؤلف في هذه القصص الأربع عما ألفه من سجلات معجمية في كتاباته الأخرى. أما المروض والثور فهي ذات منحى رمزي ولا صلة لها بستايقاتها، فهي أقرب إلى الحكاية المثلية، وهي الوحيدة التي أجزأها المؤلف في هذا الباب، فالثور المصارع في الحلبة يكتسب عقلا ويحدث مروضه فيكتشف أن القناطير الستة من العضل قد أصبحت مستنيرة بعقل فينتابه الفرق من هذه القوة الهائلة المضاعفة.

بلارة

ترك خريف هذه الرواية مخطوطة في مسودات فاهتم بها الباحث فوزي الزمرلي وحققها. ويستمد النص عنوانه من اسم البطلة ابنة حميدة الحفصي سلطان تونس (19) التي تعيش مغامرات عاطفية وتشارك في أعمال سياسية باهرة كسفرها لدى الآستانه في طلب الإعانة العثمانية

على طرد جيوش الإسبان. وبما أن الناشر قد تناول الرواية مخطوطا خلّص من مسوداته ما أقام به صرح هذا العمل المهجور فإننا نستفيد كثيرا عن ظروف الإنشاء وتخلّق النص ومعاناة الكتابة وظروف التنسيق بين السرد والحوار والبياضات والإشكال التعبيري مما اعترض الكاتب حيث كانت العبارة تحضره بالفرنسية فيدونها في انتظار ما يناسبها من العربية (20) .

آثار مخطوطة أو غير مجمعة :

للمؤلف مخطوطان لم ينشرا إلى حد كتابة هذا وهما "سوق البلاط" (21) و "طمبياز" فالأول نص مسرحي أها الثاني فهو "رواية تشنت في ذاكرة المؤلف ووقف حائرا في تجميعها لذلك بقي ينظر إليها كدسا من الورق يضمه ملف" (22) كما أن له جملة من المقالات ذات الطابع السجالي النقدي، وهي منشورة بأعداد مختلفة من مجلتي الفكر وقصص التونسيين .

خاتمة البحث :

لقد بدأ خريف كتابة الرواية منذ أواخر الخمسينات . ولئن كان جنس القصة قد ظهر بتونس من بداية القرن العشرين، فإن الرواية في منحها الواقعي - غير الرمزي الرومنسي ولا التعليمي المباشر- قد بدأ مع البشير خريف. وإذا رجعنا إلى قول لوسيان قولدمان "إن الفرد الإشكالي الذي سيكتب الرواية هو الذات التي ترسّمت حدودها في ظل المجتمعات الديمقراطية" لاحظنا ترسّم ذات مؤلفنا خارج الأطر

الإيديولوجية التي رسمتها الدولة في مخططاتها الثقافية والتربوية والحزبية، استعمارية كانت أم وطنية . لم ينشأ خريف في بيئة ديمقراطية، فهو لم يتغذ بلبان الحرية في عالم السلطة الشمولية القائم على الحقيقة الوحيدة، المقدم للأجوبة الجاهزة لأي تساؤل يمكن أن يطرأ، إنه عالم لا يصلح لانبثاق الرواية حسب المقولة المذكورة، لأن مؤسساته التعليمية وهياكله الثقافية القائمة على الموقف الاستبدادي تحبس الفرد داخل الصدفة الاجتماعية فلا يتكوّن داخلها فرد إشكالي أو إنسان فردي يتأمل في ذاته ويترجم نوازعها في عمل أدبي حامل لمعنى النسبية والشك والتساؤل والغموض، فالفرق بين المثقف التقليدي المملّب إيديولوجيا وبين المثقف الإشكالي فرق يتجاوز السياسة والأخلاق ليطول الأنطولوجيا، ويقول كونديرا في صدد قريب من هذا " إن الحقيقة الشمولية تستبعد النسبية والشك والتساؤل ولا يهتمها أبدا أن تتصالح مع ما أسميه روح الرواية " (23).

وإضافة إلى البيئة الإيديولوجية غير الصالحة لانبثاق الرواية نشأ خريف في مؤسسة ثقافية تقليدية، وفي مؤسسة عائلية تقليدية كذلك، تؤمن بالهيمنة الأبوية وبالأرض، والملكية الأسرية، وشهد التجربة التحديثية التي فككت المؤسسة التقليدية برمتها (24) واستبدلتها بمؤسسات حديثة لكن هذه الرزة التحديثية التي اعتمدها الدولة الوطنية الجديدة لم تتبنّ الخيار الديمقراطي - المهد الطبيعي لنشأة الرواية، بل اعتمدت مؤسسات - في هيكل الحزب الأوحد- تنظر للثقافة والتعليم

وتراقب المثقفين وتحاول استيعاب أكبر عدد منهم، هي لجنة الدراسات الاشتراكية.

لقد نشأت في ظلّ هذه الهيمنة نخب منضوية تابعة، أنتجت ضروبا من الروايات التي تحمل سيمات التبعية، روايات عديمة العمق الفردي مسطحة الأغوار النفسانية (إن أمكن أن تكون الأغوار مسطحة) مترجمة عن الروح الحزبية المتمكنة من ذات الكاتب أو المسلطة عليه، قريبة من البيان السياسي مشيدة بتاريخ البطل الأوحده، واعتبر هذا الإنتاج نضاليا وانخرط فيه عديد الأدباء، لكن إنتاجهم لم يقنع أحدا ولم تحتفظ به الذاكرة لبعده عن الصدق وانعدام عمقه الإنساني، وذلك رغم برجة أكثره في المقرّر الدراسي.

وفي هذه التربة غير الصالحة أيضا طلعت روايات خريف كتبت في مفاصل الصغور، وفي رواياته كان متحرّرا من هيمنة السلطة، ولم يتحدث عن زعامة البطل الأوحده إلا في فترة وجيزة من "الدقلة في عراجينها" في قالب عرض توثيقي، في مقطع يمكن محوه من النص دون أن يتأثر، لعل كتابته كانت بدافع التقية، ولم يخصص من قصصه القصيرة إلا "محفظة السّمار" (25) لتناول ما كان يدعى في النقد التونسي بالمضمون الوطني، لكن استعراضه لحادثة نضالية لم يكن سوى أرضية للحديث عن نضال فتاة في سبيل اكتساب حريتها الشخصية.

وفي هذه التربة الثقافية غير الصالحة لنشأة الرواية أخرج خريف إنتاجه تجاوزا للأجناس النثرية التقليدية وأدواتها التبليغية. لم تتمكّن

المؤسسات التحديثية التي شهدتها البلاد في القرن التاسع عشر كالمدرسة الصادقية والجمعية الخلدونية والرحلات الدراسية المنظمة أو الحرة من إنتاج مثقفين قادرين على الصمود إزاء النمط الثقافي التقليدي وأدواته التعبيرية.

لقد تلقى خريف مستوى أولا من الدراسة في صلب هذه المؤسسة لكن تكوّنه الذاتي وتمكّنه من لغة أجنبية جعلاه يتجاوز وضع المثقف التقليدي خريف هذه المؤسسة ويتجاوز الاطمئنان الذي توفره ليصبح مثقفا قلقا على مستوى الممارسة الحياتية كما على المستوى الفكري، وليصبح متسائلا حراً، وليعبّر عن موقفه القلق المتمرد في إنشاء لا هو بالخطبة ولا بالقصيدة الخليلية ولا بالرواية الوطنية بالمفهوم المبسوط أنفا بل هو إنشاء حامل لمضامين تحررية محمولة على شخصيات ذات وعي حادّ بالمرّة الإنسانية، مخوض صراعاً خادماً متنوعاً ضد قوى استبدادية مختلفة.

إن استعراض نماذج الشخصيات التي حملها المؤلف مضامين تحررية يمكننا من رصد المؤسسات الاستبدادية التي تجعل المؤلف من مكافحتها مادة درامية، وهي :

* المؤسسة الاجتماعية ذات القيم العتيقة المنبينة على فكرة الجماعة وعلى إهمال القيم الفردية، وسوف يكون نضال الأفراد موجهها نحو محاولة الفكّك منها، هادفاً إلى إحلال الذات محلاً مناسباً من سلم القيم، وذلك بتحقيق حريتها الأساسية كالعاطفة والسفر والكسب

والاستقلال عن الأسرة (الدقلة في عراجينها) .

* المؤسسة الاجتماعية الطبقية التي تفاضل بين الفئات والشرائح لا في ما تتيح من سبل الكسب وما تمنع بل في انتهاج سلمية أخلاقية تفاضلية، وسوف يكون نضال الافراد موجهاً نحو محاولة الجواز من هذه الطبقة إلى تلك ومن هذه الجهة الجغرافية على تلك مع مواجهة الصد والانغلاق والتصادم (مشموم الفل).

* المؤسسة الرأسمالية الاستغلالية المتمثلة في شركة الفسفاط حيث يناضل الأفراد من أجل الحق النقابي والمعاملة الإنسانية والمساواة (الدقلة في عراجينها).

* الوضع البشري : هذا الوضع يحطّ من الميزة الإنسانية لبعض الأصناف على أساس اللون أو العاهة وهو أشدّ أصناف الاستبداد وقعا على الذات لذلك جعل حريف مكافحة هذا النوع من التسلطّ الأشدّ ضراوة (مشموم الفل- برق الليل).

الإحالات :

- 1- أنظر "محمد فريد غازي: الرواية والقصة في تونس (بالفرنسية)- الدار التونسية للنشر 1970 ص 55 وما بعدها.
- 2- أنظر بيليوغرافيا مفصلة ومتنوعة في عدد خاص من مجلة "قصص" التونسية ع 63 يناير 1984 وملاحق البحث المرفون لصاحب المقال بكلية الآداب بجامعة منوبة تونس- والبحث بعنوان : مسألة النخبة القصصية في أدب بشير حريف.
- 3- غازي ص 57
- 4- نشرت على ثلاث حلقات في مجلة "الفكر" التونسية (توقفت عن الصدور سنة 1986) وذلك بين سنتي 1957 و 1958 ثم أعاد المؤلف نشرها على نفقته سنة 1980، ونشرها بتونس في السنوات الأخيرة دار سويس.

- 5- انظر مقال محمد فريد غازي "حول: إفلاسي" مجلة الفكر س 8 ع 4 ماي 1959 وأعيد نشر هذا المقال في مجلة قصص ع 63 يناير 1984 وانظر على الخصوص : أحمد خالد: أضواء البيت التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل- الدار التونسية للنشر ط 3 1985 ص 65 وما بعدها .
- 6- المؤتمر الأفخارستي Eucharistique مؤتمر كنائسي يجمع المسيحيين من مختلف بلدان العالم.
- 7- محمد فريد غازي الإحالة السابقة
- 8- المراجع المتعلقة بهذه المسألة أكثر من أن تحصى أنظر على سبيل المثال: محمد الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس. الدار التونسية للنشر تونس 1972 ص 142 وما بعدها، وكذلك : د. منصف وناس: الدولة والمسألة الثقافية في تونس : الكتاب الأول دار الميثاق بيروت ط 1 1988 ص 54 وما بعدها.
- 9- صدرت أولا عن الشركة القومية للنشر SNED سنة 1961 وقد نفذت وصدرت الطبعة الثانية عن دار بوسلامة بتونس سنة 1967 وقد نفذت على ردايقا والطبعة الحديثة المتوفرة حاليا صادرة عن دار سويس بتونس.
- 10- منضال من الرعيل الأول كان أول شيخ لبلدية تونس له كتاب "تونس الثائرة" القاهرة 1954 .
- 11- حققه ونشره فوزي الزمرلي وصدر عن المجمع التونسي "بيت الحكمة" بقرطاج سنة 1992 في 273 من الحجم الكبير.
- 12- مثل دور برق الليل الممثل الراحل نورالدين القصباوي.
- 13- د. رياض المرزوقي: هل برق الليل رواية تاريخية ؟ مجلة "الفكر" س 27. ع 8 . مساي 1982 .
- 14- مجلة الفكر س 6. ع 2. نوفمبر 1960.
- 15- الطبعة الأولى صدرت عن الدار التونسية للنشر MTE بتونس سنة 1969 وأعادتها نشرها دار الجنوب بتونس بمقدمة للكتاب السوداني الطيب صالح ضمن سلسلة عيون المعاصرة وترجم فصولا منها إلى الفرنسية الهادي جيون من تونس وآسيا حابر من الجزائر ونشرها تحت عنوان : أرض الرغبات المحترقة (حوالي 300 صفحة). نشر جون كلود لانيس باريس 1986.
- 16- أنظر : عز الدين المدني : الأدب التحريبي . الشركة التونسية للتوزيع تونس 1972 وانظر أيضا : الطاهر المسمامي : حركة الطليعة الأدبية في تونس 1968-1972 منشورات كلية الآداب بمتونة. ودار سحر للنشر - تونس بدون تاريخ.
- 17- مجلة قصص : ع 23. أبريل 1972 وكذلك العدد 63
- 18- الدار التونسية للنشر 1971-95 صفحة من الحجم الصغير . أعادت نشرها دار سويس.

- 19- هو أبو العباس محمد الحسن بن عبد الله الحفصي المشهور بـ "حميدة" يسكنون الحاء. ولد سنة 917 هـ الموافق لسنة 1510م. انظر المونس في أخبار القرنية وتونس لابن أبي دينار فصل: في من تولى من بني حفص في البلاد الافريقية - دار المسيرة لبنان ومؤسسة سعيديان. تونس ط 3. 1993. ص 153 وما بعدها.
- 20- انظر : د. جون فوتتان : مباحث في الأدب التونسي المعاصر (1889-1993) (بالفرنسية) منشورات الجنوب تونس 1998 ص ص 62-63.
- 21- يسكنون الباء. أحد أسواق العاصمة تونس
- 22- انظر البليوغرافيا التي أعدها مجلة قصص التونسية ع 63 جانفي 1984.
- 23- ميلان كونديرا : فن الرواية . مقابلة أجرتها معه مجلة "العرب والفكر العالمي" العددان : 15 و 16 حريف 1991.
- 24- ينظر مؤلف . د. منصف وناس المشار غليه آنفا.
- 25- من مجموعة مشنوم الفل وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

أسئلة الخطاب الروائي بين التحديث والمناقشة

هاهو عصر الرواية قادم !

بقلم : صابر الحياشة

<http://Archivebeta.Sakhrhit.com>

بشارة كثيرا ما ترددت في نهايات القرن الماضي تعلن لأمة الشعر أنه قد آن الأوان كي تغادر هذه المركزية الثقافية التي احتكرها الشعر والشعراء في سبيل توطيد دعائم جنس أدبي بورجوازي الأصل غربي المنشأ عبر تأصيل وجوده في التربة العربية إبداعا وتنظيرا.

وقد تصدّى هذا الأمر بشكل "طبيعي" أدباء مرحلة النهضة منذ المحاولات الأولى خلال القرن التاسع عشر حيث تمت ترجمة كثير من الآثار الروائية الغربية (الفرنسية والإنجليزية بالأساس) ووقع إنتاج ضرب جديد من النثر العربي لا هو "نثر فني" بمعناه القديم ولا هو "كلام مرسل" على نحو المحاطبات غير الأدبية. وكان بلاغة جديدة بدأت تطلّ من وراء الاختيارات الأسلوبية البديلة التي اقتضاها نقل الإبداع الروائي الغربي إلى الأفق العربي.....

شعرية السرد

قراءة في مجموعة "الخضاب" لفوزية العلوي

بقلم : أسعد أبو السعود*

I-مدخل أول : حدود الأجناس / أجناس بلا حدود :

هل يصح القول بوجود حدود تفصل بين الأنواع أو الأجناس الأدبية أم أنه لا حدود بين الأجناس؟ من خلال هذا السؤال تنطلق مقاربتنا لتبث أن الحواجز بين الأجناس الأدبية لا تعدو أن تكون حواجز وهمية يمكن تخطيها إذ لكل نص أدبي مهما كان جنسه أن يقيم في نص آخر ينتمي إلى جنس مغاير ويتجاوز تخومة، أفلم يقل موريس بلانشو Maurice Blanchot منذ سنة 1959 "لا شيء أهم من الكتاب نفسه بعيداً عن الأنواع الأدبية وعن التصنيفات ثراء، شعراً، رواية قصصية، سيرة ذاتية كانت، فالكتاب يفرض أن يدخل تحت إحدى هذه التصنيفات كما أنه ينفي عنها صفة تحديدها لمكانته ولشكله. فالكتاب لا ينتمي اليوم إلى نوع أدبي معين، وكل كتاب لا يقوم اليوم إلا على مفهوم الأدب وكأن هذا الأدب يحوي مسبقاً في عمومياته الأسرار والصيغ التي يمكنها وحدها أن تكسب الكتابة واقعها ككتاب" (le livre à venir p.p 243-244) (1). غير أن التقد الأدبي عرف خلافاً كبيراً حول هذه المسألة نجد له صدى في ما كتبه تودوروف T.Todorov وجيرار جينات Gerard Genette ونورتوب فراي

*باحث - كلية الآداب ببنوة

Northrop frye وموريس بلانشوت Maurice Blanchot في الغرب ثم في ما كتبه نقادنا العرب تأثراً بهم وسرا على النهج المخالف لهم لذلك يبقى "لقولة الأجناس الأدبية" وجود بين بقية المقولات المتصلة بالأدب وإن تعددت منطلقات البحث فيها. ونحن ندرك أن القول بتداخل الأجناس كتب عنه الكثير لكننا سنحاول في هذه الدراسة أن ندلل على ذلك من خلال نماذج تجعل النص ينطق بالألفة بين الأجناس ويشهد على انسجامها فتكون حينها عملية القراءة متمعة لأنها قراءة لنص ينطق بالألفة بين الأجناس ويشهد على انسجامها فتكون حينها عملية القراءة متمعة لأنها قراءة لنص جامع أما الكتابة فإنها تتجاوز كتابة النص الواحد إلى التأليف بين نصوص عدة.

وقد اخترنا مجموعة فوزية علوي "الخضاب" (2) وهي مجموعة قصصية سنعمل على دراسة ما انعكس من حضور للشعر في الكتابة السردية خاصة وأن صاحبها "شاعرة قاصة أو قاصة شاعرة" نصوصها في كل من هذين الجنسين الأدبيين تجعل متلقيها لا يعرف لمن ينحاز (3) لكننا سننظر قبل ذلك إلى حضور الشعر في القصة التونسية عامة فكيف وظف القاص التونسي النص الشعري في كتاباته؟

II- مدخل ثان : نص السارد/نص الشاعر:

إن قراءة متأنية لما يكتبه القاصون بتونس تقودنا إلى استنتاج ما للسرد من صلة بالشعر وقد تطرق "سوف عبيد" إلى حضور الشعر في القصة من خلال مقاله : "هاجس الشعر في القصة التونسية" (4) وأتى بعدة أمثلة على ذلك فاستشهد بنماذج من قصص محمد العروسي المطوي-إبراهيم الدرغوثي "كأسك يا مطر"، - محمد يحيى "الشيخ مسعود" - جلول

عزونة "خاتمة قصيدة" - علياء رحيم "القناديل المنطفئة" - يوسف عبد العاطي "الزيتونة" - عروسية النالوي "حينما يجمعنا النقيض"... وسنضيف إلى قائمة الأسماء المذكورة في مقاله (وعددتها أحد عشر) أسماء أخرى تبرز منانة العلاقة بين الشعر والقصة.

1- هندسة النص : تستعر القصة التونسية في كثير من الأحيان تقنيات الكتابة الشعرية ولوازمها ولعل ذلك يتضح من خلال محاكاة الشعر والنهج على منواله في إخراج الكتابة فيتحول النص السردى إلى قصيدة تكتب في شكل أسطر ولنا في ما كتبه نتيلة التباينة مثالا على ما ذكرنا فقد كتبت فقرات من قصة "بخير!..." كما يلي :

"نزحت،،

نزحت إلى الشوارع الكبيرة..

مشيت هزيلا..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مشيت ضعيفا..

تشدّ جسدك إلى الجدران،،

تشدّه إلى الأبواب،، حتى لا تفقد توازنك،، وتسقط..." (5)

ويتضح ذلك أيضا في قصة "فجرزاد- قصة سقطت من حكايات شهرزاد"

لريم العيساوي حيث أوردت هذا المقطع السردى الشعري :

"جسد يحى جسد يموت.

جسد ينأى جسد يفوت.

في موكب الروح القدسية.

يعيش بخطى لا مريّة." (6)

وفي قصة مسعودة أبو بكر " ليلة غسل والدي" ففيها رسمت لوحة

حزينة مستعينة بالشعر تعبيرا وكتابة :

"جثوث على ركبتى..

تُحرب منى شرايىنى!!...!

أينشع منها الدم؟!

لو... لو أتلمس إحدى الكفين... هذه اليمنى التي من جهتي؟!

ألوذ بها!!" (7)

كما يتجلى توظيف شكل الكتابة الشعرية في قصة جنات إسماعيل

"الرّقص مع العاصفة"

"لا تسجلوا الجريمة ضدّ مجهول

...أشهد أنّي قتلت بائع المرايا

...بكلّ بساطة استغفرتني فقتلته.

...إنّه يمنعني من العنور عليّ" (8)

وهذه القصة وردت في شكل قصص قصيرة نسجا على منوال القصائد

القصيرة. وقد استعان عبد العزيز فاخيت في قصته "سخرية القطار" بتقنية

التنقيط وهي من الأشكال السائدة في كتابة الشعر وخاصة خلال مرحلة

"التحريب" :

.....

.....

.... كان جذّي يرى الملل في عينيّ..!

فيسوقني إلى المحطة التي سنزل بها... ويعلني بنعيم جناتنا.. إلخ. (9) وكأننا

بالقاصّ يحاكي في نصّه نصوص الطاهر الهمامي والمنصف المزغني وغيرها

من الشعراء الذين أكثروا من التنقيط في شعرهم. أمّا عبد الرحمان أيوب

فقد فصل في قصّته "القطيع" بين الكلمات على نحو ما يوجد في النصوص الشعرية:

"الازدحام. الازدحام. المنكبان في تشنّج دائم طيلة اختراق الشارع
الواصل بين الباب الشمالي/ الشرقي والجنوبي/ الغربي". (10).

هذا فضلا عن توظيف البياض وتقسيم النصوص إلى مقاطع
وعنوتها بعناوين وغير ذلك من الأشكال التي عرفها النصّ الشعري في
هندسته وصارت جزءا من هندسة النصّ القصصي.

2- الصورة الشعرية :نجد في بعض النصوص السردية صورا شعرية
جميلة كما يتجلى في قصة "رجل الخمارة الصاعب" لابراهيم الأسود
حيث يرسم في بداية النصّ هذه الصورة : "الشارع بموج..الأضواء
المرتعشة تنسكب شاحبة لتعانق الأشياء برفق..على الرصيف، تتساقط
ظلال باهتة كأشباح تراقص بفوضى غير كلّ اتجاه". (11) وأيضا في
قصة ربعة الفرشيشي "في تلك الليلة" التي استهلّتها بقولها: "حبّات
المطر تنقر نافذتي...تناديني...تصرخ بي...آلمها البلور يصفعها حتّى
التفتّت والتلاشي" (12).

وهكذا صار الشعر مدخلا للسرد ومفتاحا للكتابة وكانّ السارد
يتهيأ من خلاله ليعيش حالته "السردية" كما يعيش الشاعر حالته
الشعرية.

3- حضور النصّ الشعري :

كما تحضر تقنيات الكتابة الشعرية والصور الجميلة يحضر النصّ

الشعري في القصّة ففاطمة سليم بدأت مجموعتها القصصيّة "نساء وأقلام" بالشّعر (نصّ خواطر معلّمة) وختمتها بالشّعر (نصّ سجائر في نادي القصّة) (13).

وصدّر حاتم القلفاطي قصّته "الأزمة الأولى" بنصّ شعري لبودلير:
استقامتك لا تهمّني...

كوني جميلة وكوني حزينة وكفى
فإنّ الدموع تزيد في بحجة الحياء
كما يزّين الدّهر منظر الطبيعة

وكما تزيد العاصفة في بحجة الزهور... إلخ: " (14)
ثمّ أورد أغنية باللغة العاميّة:

ARCHIVE
يا خلاله غني

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نا صاحبي بعد الجفا

بدلّني

يا عين ابكي

والزّمن هالكني" (15)

والأمثلة على ما ذكرنا عديدة في القصّة التونسيّة.

4- الشّعر موضوع القصّة:

ينشغل بعض القاصّين بتحليل شخصيّة الفنّان وما يتّصل بالإبداع وتعامل النّاس معه ويلوح ذلك مثلاً من خلال قصّة مجدي بن عيسى "الشاعر الّذي يرى بالكلمات" حيث يصبح الشّعر موضوع القصّة تحاول أن تدخل عبره عالم الشّاعر وتكشف عن خفاياه فإليك هذا

المقطع من القصة ليصور ذلك: "لقد مرّ على الأزمة الصحيّة للشاعر أكثر من أربعة أشهر، مرّ خلالها الشتاء أكثر كآبة ورتابة وأشدّ برودة، لقد أصاب البرد الأجساد وألزمها بيوتها، كما أصاب المشاعر ومخاطبات المتخاطبين، ويبدو أنّ مرض الشاعر قد ذهب بريبع قلوب أصدقائه والمحيطين به..." (16). إنّ كثرا من القصص والروايات والمسرحيات جعلت الشعر أو الشاعر موضوعا للكتابة ممّا يكشف عن محاولة السارد فهم العمليّة الإبداعية وتحليل نفسيّة الشاعر وإظهار كلّ ذلك إلى القراء حتّى تيسّر مهمّة تذوّقهم للشعر والإحساس بمعاناة الفنان، بيد أن التواصل والتداخل بين النصّ السردي والنصّ الشعري لن يتضح إلاّ بالرجوع إلى القصص وتحليلها لذلك سنعود إلى قصة "الخضاب" لتتخذها نموذجا على شعريّة السرد وتبيّن مختلف الأشكال التي حضر بها الشعر فيها وتحدّث عن علاقة السارد بالشاعر.

III/- شعريّة السرد - "الخضاب" نموذجا :

1- النصوص المختارة:

تسكّون "الخضاب" من ثماني عشرة قصّة تتراوح بين الطول والقصر وقد اخترنا أن نلتم بدراسة سبع قصص هي: الخضاب (ص7ص12)- دلال والصحراء (ص 25 ص 33) الحلم (ص34 ص41)- هبيل والعذارى والحمام (ص42 ص 49) - الموت مع تأجيل التنفيذ (ص80 ص 86) - المطر والتمثال (ص 87 ص 94) - بوح الحصون (ص139 ص148) وتتكوّن دراستنا لهذه القصص من العناصر التالية : شعريّة الزمان-شعريّة المكان -شعريّة العبارة- شعريّة الأسماء -شعريّة الكتابة-تداخل الشعر والسرد - السرد والأسطورة.

-2- شعريّة الزمان/الليل:

بالرجوع إلى النصوص المذكورة لاحظنا أنّ القاصّة تختار الليل زمانا مناسباً تدور فيه أغلب أحداث قصصها ففي قصّة "الخضاب" بدأت الأحداث في الليل لتنتهي فيه إذ ذهب البطل في مستهلّ النصّ لتنام : "ستنام في اضطراب العشاق" (ص8) وفي آخره قتلها امرأة الظلّ وغرقت الغرفة في الظلام : "الغرفة غرقت في العتمة و امرأة الظلّ عادت إلى الجدار!!!" (ص12) أمّا في "دلّالا والصحراء" فالأحداث بدأت نهاراً لتنتهي ليلاً : "تسحب كحرد فرع ووقفت عند أصحابي واحدا واحدا أحركهم في نومهم وأهمس لهم بما رأيت وأدعوههم والليل ستار" (ص33) وفي نصّ "حلم" ينطلق سير الأحداث ليلاً وينتهي صباحاً وكلمة حلم تحيل على الليل لأنّه زمن الأحلام وكذلك شأن نصّ "الموت مع تأجيل التنفيذ" حيث يفتح النصّ على الليل وينغلق على الصباح بينما يخيم الليل على نصي "المطر والتمثال" و"بوح الحصون" فالنصّان مبدأهما ومنتاهما الليل وتما يزيد في شعريّة الليل تصدير نصّ "بوح الحصون" بشطر بيت شعري للسليك بن السلّكة الساعدي يذكر فيه الليل : "إنّ الليل طويل وأنت مقمر" (139) (وينفرد نصّ "هيبيل والعداوى والحمام" عن بقية النصوص لأنّه يفتح على النهار وينغلق عليه ويتخلّل النهارين ليل.

ومن الواضح إذن أنّ فوزيّة العلوي تعمّدت تحديد الزمن بما يرمز إليه من وحشة وغربة ووحدة، هذه الوحدة تشترك في إبرازها دلالة الزمان مع دلالة المكان كما سنبيّن.

-3- شعريّة المكان/الوحدة: انحصر المكان في القصص التي اخترنا بين الغرفة

المظلمة والشارع الخالي من الناس تما يثير الإحساس بالعزلة والوحدة وهما

القادحان الهامان لقول الشعر ففي "الحضاب" جرت الأحداث في غرفة تضيئها الشموع قبل أن تنطفئ في نهاية القصة : "جلست تحني، الوجه عذب والبهجة تنقط في قلبها عسلا فتشرق الأحداق. لا أحد سواها في الغرفة" (ص7) وفي "الحلم" كذلك كان المكان غرفة: دخلت غرفتي بعد تيه في الأزقة طال بي حتى هدني..." (ص36) ونفس المكان أختبر في "بوح الحصون" تقول الساردة : "وعندما ينصفق الباب عليّ وأغرق في العتمة..." (ص139) أما في "الموت مع تأجيل التنفيذ" فقد كانت الشوارع خالية: "هذي السماء مثقلة وهذه الريح الباردة تنّ والطرقات خالية إلّا من أطيايف حثيثة سرعان ما تبتلعها الأبواب ويبقى الفراغ عميقا ملوياً..." (80) وتكرّر حضور هذا المكان كرمز في نصّ "المطر والتمثال" حيث تقول القاصة : "رفعت بصرك من حديد وأنت تخاف أن يكفّ المطر عن الانهمار وأن تغصّ الشوارع والأرصفة بعدما خلّت من الناس..." (92) وفي نصّ "دلالات الصحراء" كانت الصحراء فضاء واسعا دارت فيه أحداث القصة ولهذا المكان صلة بالشعر فأوّل قوله أثصل بالبيئة الصحراوية وبنمط الحياة السائد فيها وقد صوّر الشعر الجاهلي الصحراء ووصف حيوانها ووقف على أطلال الخيام التي كانت منتصبة فيها. وبرز لنا البطل في قصة "هيبيل والعذارى والحمام" بصورة شاعر فهو اختار مكانا يناسب كتابة الشعر : "يجلس هيبيل على الرصيف الصخري وظهره إلى جدار الرباط" (أوّل جملة في النصّ ص42).

من خلال هذه الأمثلة تتجلى صلة الزمان والمكان بقول الشعر فالليل والوحدة هما الدافعان على البوح والاسترسال في التعبير عن شتى الأحاسيس التي تتاب الشعراء وكم من شاعر تغنى بالليل وبالوحدة وخاصة الشعراء

الرومانسيون كالشّابي وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي..

4- شعريّة العبارة/التشبيه والاستعارة:

لاحظنا في نصوص

فوزيّة العلوي استعمالا مكثفا للتشبيه

أ- التشبيه

- والاستعارة وهما أسلوبان بلاغيان - يكثران في الشّعر باعتباره لغة مجازية تقوم على التخييل والخروج عن الواقع وقد جمعنا الشواهد الدّالة على ذلك في هذين الجدولين :

الصفحة	عنوان القصّة	المثال
ص 42	هيل والبنّار والحمّام	"والشفاه كرحيق الكلام إذ يختصّه نخل الوقت".
ص 42	هيل والبنّار والحمّام	- "كان مطمئنا مطمئنا كصومعة".
ص 47	هيل والبنّار والحمّام	كان مهيبا جميلا بارد الحيا مصقولا كصنم إفريقي.
ص 47	هيل والبنّار والحمّام	تقدّم الشيخ عبّاس بخطى ثابتة، كان حافيا وباكيا وشغيف الحزن كترجسة.
ص 49	هيل والبنّار والحمّام	هيل ينام هادئا كيماة.
ص 49	هيل والبنّار والحمّام	"اللقام مهيب والسيد مطمئن يغفو كطفل متعب".
ص 49	هيل والبنّار والحمّام	-جثّ الحمام طافية فوق الماء كأوراق خريفية.

ص 25-ص 26	دلال والصحراء	والصحراء على مدى العين ممتدة تنذر بالهلاك والويل وأفاعيها تفح رقطاء وسراهما يتماوج كأحلام واهمة". - "فأقبلت غادة هفهافة كالسراب". - "وهم ينثرون الماء في كل صوب فيشع في الفضاء كشآبيب الفضة". - "والليل أدلهم والنجوم لوامع فوق فضاء الصحراء السحيق كخواطر في عقل صاح". - "والعين لمعت تحت ضوء القمر وماؤها تملل منسابا محدثا رفرقة كتنجوى الملايكة".
ص 34	الحلم	- "الخاتم كان كما لو طبع لي، أصابعي الحلم تسامقت إذ قسمته، صارت كأقلام الفضة، أو كحريدة نخل قمري". - "ربما كان (الخاتم) من ذلك الأخضر المهيّب المشوب كالسحاب". - "لكن لا أحد رمق الخاتم، مع أنه كان مشرقا كريمانا".
ص 84	الموت مع تأجيل التنفيذ	- "بدت لك بعض الراعم متفجرة في هذا الربيع كأنداء مرضعة".
ص 87	المطر والتمثال	- كهذا الذي يتنامى في صدرك، يتنامى البناء في هذا المنحى ليلبغ المدى الأبعد - "هذا لك الرجل شاعنا كصومعة". - "ورأيت وميض عينيه كالشهب".
ص 92	المطر والتمثال	

ص 94	المطر والتمثال	
ص 142	بوح الحصون	- "لست في حاجة إلى ماء أو غذاء، إني كصَبَّارٌ عجوز احتفظت بماء سنوات الفرح
ص 143	بوح الحصون	- "...فإنَّ روعي كما عهدنا فسيحة كبحر".
ص 144	بوح الحصون	- "...ثمَّ يتكسَّرُ ويرغى في حركة ساكنة كآخر الاحتضار".
ص 145	بوح الحصون	- "كانت يده رخوة كسمكة".
ص 147	بوح الحصون	- "كان الماء يورجحي فأشعر بخفَّة لا مثل لها ثمَّ بغمرني فيصبيني كالسكر".
ص 147	بوح الحصون	- "وقلي في وجيب كحنّاح الطَّير".
ص 147	بوح الحصون	- "وذراعاي ممدودتان كأنَّما أخفق أو أطير".

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب- الإستعارة

الصفحة	عنوان القصّة	المثال
ص 8	الحضاب	- "ستفكّ الحرق عن أطرافها وتنتشي لوهج الجَلَنار. ومستريح في بحار من الحمرة القانية".
ص 9	الحضاب	- "بدا تخضيب الكفّ اليمنى أعسر، وشمعة ماتت تاركة شلّالة من الدّمع
ص 10	الحضاب	الجامد". - "ماتت شمعة أخرى لتعمّق وحشة الظلمة".

ص 82	الموت مع تأجيل التنفيذ	- "ستعم الفناجين بقبل الشعر وهمسات الصحافة".
ص 83	الموت مع تأجيل التنفيذ	- "زجاج العطر رشتها في الحديقة لتتحف بما الهواء قليلا وترجحه من العفن".
ص 26 ص 27	دلالات الصحراء	- "ففترت العيون لذّة ومادت الرؤوس شهوة، وسالت الأحلام مدرارا ففمرت بطاح الأفئدة والصدور".
ص 36	الحلم	- "استيقظت بعدها على فراغ يتردد بين الضلوع".
ص 36	الحلم	- "بدا اليوم رماديا أو أرجوانيا".
ص 37	الحلم	- "... وتسقط ذوايات النور على الوجه الفتي فتنبو القلوب".
ص 38	الحلم	- "وخائلك المهيب معلق بين مدار الحلم والذهشة".
ص 139	بوح الحصون	- "جنّ العسس، جنّ الخرس، والريح جنت...".
ص 141	بوح الحصون	- "والنور تمرّق في عيني أشلاء".
ص 141	بوح الحصون	- "ها كوة في السقف تمس بضوء خافت وحبيبات من الغبار الطائر تتزاحم في طرب".
ص 141	بوح الحصون	- "وسأنعم السّاعة بسيل الثور هذا
ص 142	بوح الحصون	- "محتاجة هذه الذّاكرة المعفنة أن تستحمّ في هذا المعين وأن تدع عنها كلّ الفطر العالق في تجايفها..."

ص 142	بوح الحصون	- "...ولا نغرميني تفّاح ركبتك".
ص 142	بوح الحصون	- "...ودعيني أسمع رقص أساورك فكم تعبت من صليل أغلالهم."
ص 142	بوح الحصون	- "وأني تغزل الصوف وتدثرنا بالأمان".
ص 144	بوح الحصون	- "ورائحة أثوابه تنتفس العطن والطبخ".
ص 145	بوح الحصون	- "...فقد وضعوا على أنفي منديلا مبلّلا بالتسيان".
ص 145	بوح الحصون	- "قرنفلة ما كانت تثبت في دمه..."
ص 147	بوح الحصون	- "كان الماء يؤرجحي فأشعر بحفّة".

5- **شعرية الأسماء** : بنسزت في نصوص قاصتنا العلوي عدّة أسماء شعرية، ففي " الخضاب" وردت هذه الأسماء : امرأة الجدار- امرأة الظلّ- امرأة الخضاب- الأميرة وفي "الحلم" ترددت أسماء أخرى كـ "نفرتيني" وربحانة(اسم ورده وهو في النصّ اسم لفتاة) وفي "المطر والتمثال" عدّد البطل أسماء الورود : فلّ-نرجس-كاميليا واشتقت الساردة اسم "سلكة" في نصّ "بوح الحصون" من اسم الشاعر السليلك بن السلّكة الساعدي كما ذكرت اسما وهما لمدينة هو "سلها".... إنّ هذه الأسماء وغيرها (كدلالا المشتقة من الدلال...) فيها الكثير من الشعرية وهي ممّا يؤثّق صلة الشعر بالقصة.

6- **شعرية الكتابة** : تأثرت القاصة مثلها كبقية القاصين التونسيين مهندسة النصّ الشعري فانعكس ذلك على شكل الكتابة لتتخذ من السطور المنزلة بدلا عن الجمل المترابطة ففي "الخضاب" مثلا أوردت هذه الجمل معزولة: "المرأة واصلت تخضيب الجسد.

نييب التيس تعالى.

الشمعة الأخيرة ارتحفت.

امرأة الظلّ نزعت شالها، بسطته على الجسد المسجّى.

الحناء فاحت بطريقة خانقة.

الشمعة الأخيرة انطفأت.

الغرفة غرقت في العتمة وامرأة الظلّ عادت إلى الجدار!!! (ص12) ويتكرّر

ذلك في نصّ هبيل والعداري:

"تتعرّ النسوة في جلابيهن...

تسقط المحارم...

تسرع العداري وبعض الفوقات من العجائز لاستطلاع الأمر" (ص46)

وفي نصّ "بوح الحصون" توظّف القاصّة تقنية التنقيط وهي كما ألقينا من تقنيات الشعر:

"أيتها يا حابي ؟ أين سلكه؟ الهض يا سافل وانتظر حتفك !!

.....

فتشوا في الجرار الملقاة، في السلاسل المعلقة..." (ص140).

-7- تداخل الشعر والسرد : تتداخل في مجموعة "الخضاب" النصوص الشعرية والنصوص السردية فينجم عن ذلك انسجام وتألف فالقاصّة قد صدرت مجموعتها بشعر لمحمود درويش من ديوانه "ورد أقلّ" وأقحمت في قصّة الخضاب نصّ أغنية شعبية تونسية تغنى في الأفراح:

"الحنة الحينة

جابهها التحار

فيذك بالبنية

نخضار ونحمار" (ص7) وفي قصّة "هليل والعدارى والحمام" أوردت بيتا متكوّنا من كلام المتنبي ومن كلامها:

الحليل و اللّيل و البیداء تعرفه

و الحبّ و الوجد و البرداء تقتلني

كما ضمّنت النصّ بعضا من شعرها الّذي صدر في ديوان "برزخ طائر (ديوان شعر صدر للقاصّة سنة 1997):

"أيا بلوى برتني الموموم

وشفّ فؤادي حنين قدم

وطرت إليك حماما معنى

فهل يا ترى في الفؤاد أقيم؟

وهل أسمع النجوى عند الغروب

وذي الزفرات تشقّ السحاب

وأبصر خضرا، شفيفا وسيما

يقطر مزنا ويسقي الصحاب..." (ص48)

أما نصّ "الموت مع تأجيل التنفيذ" فقد ذكرت فيه مقطعا من أغنية لفيروز :

بقطفلك بس

ها المرّة، ها المرّة بس

شي زهرة حمرة، ويس" (86)

كما حضر المتنبي في نفس النصّ من خلال صدر بيت : "غير مجد في مليتي واعتقادي" (80) إلى جانب حضور السليك بن السلّكة الساعدي في "بوح الحصون" بقوله : إنّ اللّيل طويل وأنت مقمر" (139) ولم يغب النصّ الشعري عن بقيّة النصوص إذ تداعل مع القصّ في : "برتقال وذهب"

(ص14 و ص20) - "يوميات" (ص 54) - "يتنا الآخر" (63) - "المطر والتمثال" (ص90). إن هذا الحضور البارز للنص الشعري في قصص فوزية العلوي يؤكد التحام الشاعرة بالقاصة إلى حد لا يمكن بعده الفصل بينهما.

8- السرد والأسطورة : تعتبر الأسطورة رمزا من الرموز التي يبنى على أساسها الشعر المعاصر فالقصيدة "أعادت صياغة أساطير البشرية في ضوء الزمن الحاضر. وتمت دعوة آلهة السامريين والبابليين وآلهة اليونانيين ودعي المسيح المصلوب، إلى جانب وجوه أخرى وحكايات أخرى..." (17) وقد تأثرت القصة بالشعر فمارته في توظيف الأسطورة وهذه الممارسة ولدت نصوصا قريبة من الخيال أكثر من الواقع حتى صارت مشكلة الغموض عامة لا تتصل بالنص الشعري فقط بل بغيره من الأجناس التي غلب الرمز والخيال، فهي أن القاصة التونسية فوزية العلوي تستعين في بناء نص " الخضاب" ببلقيس وزنوبيا: " فكرت أن بلقيس ملكة سبأ كانت تحني بريشة هدهد، وزنوبيا لا بد أنها كانت تستعمل ذبل فهد لتحتي..." (ص8) إلى جانب فرعون (الحلم ص 34 والموت مع تأجيل التنفيذ ص 83) وسليمان (الحلم ص 33) كما سعت إلى نسج حكايات أسطورية مع عيالها كامرأة الجدار أو امرأة الظل في "الخضاب" تقول الساردة: "خرجت المرأة من الجدار، طويلة كانت كحكاية، بيضاء في لون الجص والشعر أحمر كألصنة النار ومنه يضوع عقب الحناء" (ص9 ص10) أو تمثال ابن خلدون الذي تكلم في نهاية نص "المطر والتمثال":

"فتح جناحه كنسر وضمتك إليه فاستكنت طفلا ورضيعا.

شعر بارتجافك فربت على رأسك وهمس: اهدأ.

قلت له : سيتلف كتابي يا سيدي إني تركته تحت المطر.

قال وهو يضحك : لا عليك ذاك ساح حيره، سأهيك كتابي هذا" (ص 94)
(أو كحكاية "نفرتي" والصيد في قصة الحلم" وليس حضور الأسطوري
في نصوص فوزية العلوي غريبة أو علامة دخيلة بل إن الغرابة أو الاستغراب
كانا سيكونان لو أن الكاتبة عدلت عن الأسطورة وعيا ونصا، ومأتى ذلك
أن السرد الأسطوري هو ركيزة هامة تخدم الدلالة والمضمون في قصص
مسافرة عكس التيار" (18).

إنها قصص مشوقة مثيرة تستدعي قراءتها مرّات ومرّات لأن لغتها لغة
خاصة تعيد اكتشاف الأشياء ولا تضع حدودا بين أجناس الكتابة وهي
ميزة السرد التونسي قصة ورواية فالطريف حقاً في التجارب التونسية أنها
لا تنحس في قوالب جاهزة بل نرى مسار الكتابة ينتقل من موقع إلى آخر،
ويغامر الكاتب أحيانا فينتقل من مستوى إلى آخر مغاير، ويجرب وسائل
التبليغ الفنية فتراه يكتب عملا ثم يدحضه بالتجاوز في عمل ثان أو يجمع في
أثر واحد بين وسائل تبليغ مختلفة فيوظف الحديث والحكاية التراثية والخرافة
الشعبية والسرد الروائي، ويقتبس أحيانا عن المسرح والسينما بعض الفنيات
ويلتجئ إلى الشعر يستنبط منه إبحاء وإدهاشه ويتجاسر على تدمير خطّ
التعاقب ويعيد النظر في وظائف الخطاب..." (19).

إنّ تداعل الأجناس الأدبية تقر به بدايات الشعر اليوناني أفلم يكتب أرسطو
كتابا عنوانه "فن الشعر" وتحدّث فيه عن المسرح والشعر؟ كما تثبته
التصوص الشعرية العربية فعمربن أبي ربيعة جعل قصائده قصصا صور فيها
مغامراته العاطفية مستعينا بالسرد والحوار وكذا شأن أمريء القيس قبله
وغيرهما. وبعد، فإن نصوص فوزية العلوي تقوم شاهدا على ما بين الأجناس

من علاقات قرابة ننسب من خلالها الشعر إلى القصّة والقصّة إلى المسرح
والمسرح إلى الرواية... ولعل اللافت في تجربة القاصة أنّها حولت القصّة
شعرا والشعر قصّة بحكم جمعها بين كتابتهما.

الهوامش:

- 1) وردت هذه القولة في دراسة تودوروف " الأنواع الأدبية" تعريب أحمد مومّ - مجلة قصص عدد 37
جويلية 1977 ص 57.
- 2) " الخضاب" - فوزية العلوي - دار الإتحاف للنشر ط ح / 2000.
- 3) القولة لعبد الرحمان مجيد الرّبيعي - وردت على الغلاف الخارجي للمجموعة.
شعرية السرد - دراسة
- 4) هاجس الشعر في القصة التونسية - سوف عبيد - مجلة المسار عدد 38 - 39 ديسمبر 1998
ص 46 ص 57.
- 5) مجلة قصص العدد 37 - جويلية 1977 ص 81.
- 6) مجلة المسار عدد 22 - 23 ديسمبر 1994 ص 141.
- 7) مجلة المسار عدد 24 - 25 جوان 1995
ص 116.
- 8) مجلة المسار عدد 38 - 39 ديسمبر 1998 ص 123.
- 9) مجلة قصص عدد 42 أكتوبر 1978 ص 16.
- 10) مجلة قصص عدد 72 - أبريل 1986
ص 57.
- 11) مجلة قصص عدد 37 جويلية 1977
ص 15.
- 12) مجلة المسار عدد 17 أوت 1993 ص 97.
- 13) أنظر إلى مقال محمد القاضي: (الواجبة والخلفية - قراءة في مجموعة فاطمة سليم " نساء
وأقلام" مجلة المسار عدد 38 - 39 ديسمبر 1998 ص 168
- 14) مجلة قصص عدد 72 أبريل 1986
ص 18.

- 15) نفس المجلة ص 21.
- 16) مجلة الحياة الثقافية السنة 27 عدد 133 مارس 2002 ص 132.
- 17) عودة إلى الكتابة - جمال الدين بن الشيخ - تعريب بوروي عجيبة - مجلة العرب والفكر العالمي - العددان 15 و 16 خريف 1991 - بيروت ص 76
- 18) القول لرضا بن صالح - وردت على الغلاف الخارجي للمجموعة.
- 19) تاريخ الأدب التونسي - الأدب الحديث والمعاصر - 1 - إشكاليات الرواية - إعداد مصطفى الكيلاني - بيت الحكمة قرطاج 1990 ص 215.

أستلة الخطاب الروائي بين التحديث والمناقشة

هاهو عصر الرواية قادم !

بقلم : صابر الحباشة

..... بقي أن نشر إلى تأثير -لا فقط الصحف كما كان عليه الحال في بداية القرن الماضي- بل مختلف وسائل الإعلام ولا سيما التلفزيون في توجيه المستقبل نحو نصوص دون غيرها عبر التركيز الإعلامي والإشهار أو وبما التشهير... أو إثارة بعض الغبار حول عمل روائي ما سواء بالمدح أو القدح، فذلك مما يؤثر في تقبل الأثر المعني لدى شريحة كبيرة من القراء. فضلا عن تأثير السينما والمسرح في تحويل النصوص الروائية إلى أعمال درامية قد تعد ولادة جديدة لها وقد تتحول إلى "مسح" لذلك الأثر، وهذا الأمر ينظر فيه باعتبار أن تظافر الفنون أصبح خصيصة تميز العصر وليس مجرد موضة زائلة أو صرعة مؤقتة.

أما الوسائط الإلكترونية، فحدث ولا حرج! فهي أبواب مشرعة على الممكن والافتراضي وما ترفضه دور النشر أو تصادفه الرقابة يجد له متنفسا هناك، حيث الإنجاز السريع والانتشار غير المحلود وحيث إمكانيات التخفي واستعارة الأسماء أمر في منتهى البساطة واليسر، فضلا عن توفر قارئ افتراضي زبني زبني المؤلف!.....

العربية قد تندثر ...

والجنس العربي قد ينقرض

بقلم : عبد الحميد المنتصر

اللغة والهوية :

قد يتبادر إلى ذهن البعض أن اللغة هي وسيلة اتصال بالأساس . هذه النظرة سطحية لأنها لم تذهب إلى عمق الأشياء، إذ أن اللغة زيادة على أدائها التواصلية وهو مهمّ فهي مكوّن أساسي من مكونات الهوية. وهي بذلك جزء لا يمكن الاستغناء عنه في تكوين الشخصية. وهي بصمة لها أثرها في تمييز مجموعة بشرية عن غيرها. لذلك تعددت الأمم بتعدد لغاتها، وهذا ما يجعلها محط اعتزاز من المتكلمين بها.

وكم من أمم اندثرت عبر التاريخ باندثار لغاتها . يمكن ذكر على سبيل المثال : الأكادميّين - الآشوريّين - البابليّين والفراعنة.

أغلب المجتمعات تحتفل دائما بلغتها وتعطيها الأهمية القصوى باعتبارها أحد مقومات الوطن وهي مدعاة للوحدة الوطنية ورابطا قويا بين الأفراد المكوّنين لهذا النسيج المجتمعي.

واللغة تساهم بقسط مهمّ في تقريب اللون السيكولوجي بين المتكلمين بها وتمدهم بدافع روحي يكون مساهما في التقريب لا في الانفصال والتشردم. يقول الدكتور أنيس فريخة اللغوي والأديب اللبناني (جامعات شيكاغو).

"هي (اللغة) جزء من كيائنا السيكلولوجي - الروحي" (1) كما يؤكد (هيوردر) وهو مفكر ألماني صاحب كتاب (آراء في تكوين فلسفة التاريخ) فيقول "لغة كل أمة هي روحها واهم المرايا لعبقرية الشعب وأصالته" (2).

أهمية اللغة العربية :

انتهى محمود العقاد إلى أن اللغة العربية أقدم اللغات الحية. أما الدكتور محمد مطلوب في كتابه اللغة العربية والوعي القومي يرى أنها لغة موهلة في القدم لا يعرف أحد نشأتها الأولى في حين أن النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية دلّت على أن اللغة العربية ترجع على القرن الخامس قبل الميلاد.

في أحد تصريحاته يرى الدكتور علي فهمي خشيم رئيس مجمع اللغة العربية بليبيا أن اللغة العربية هي أصل اللغة المصرية القديمة الفرعونية لكن هذا الرأي وجد معارضة من بعض علماء الآثار المصريين. لاحظ بعض اللغويين أن اللغة العربية تتوزع في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات.

في مقارنتها بلغات أخرى من حيث الإيقاع والتدفق هناك من يضعها في صدارة ما عرفت البشرية من نماذج لغوية شرقا وغربا يقول انكرملي : "إن لسان العرب فوق كل لسان ولا يدانيها لسان أخرى من السنة العالم جمالا ولا تركيا ولا أصولا" (3).

إن اللغة العربية عبر التاريخ أثبتت على أنها قادرة على استيعاب كل

العلوم يمكن ذكر احمد بن الجزار وابن سينا في الطب البيروني في علم الرياضيات ابن خلدون في علم الاجتماع الكندي والفارابي في إحصاء العلوم وتصنيفها أبو عبيدة البكري في التاريخ وغيرهم.

وضع العربية قديما :

منذ زمن بعيد كانت اللغة العربية الفصحى تعاني من محاولات الإلغاء والنظر عليها بالدّون من بعض المثقفين. فقد دعا مدير الكتب المصرية في سنة 1880 (ولهام سبيتال) إلى نشر اللغة العامية والاستغناء عن الفصحى وقد حاول أن يأتي بمبررات لإقناع المهتمين بالموضوع وقد ذهب هذا المذهب كل من احمد لطفي السيد 1913 وانيس فريخة 1955 ولعل البعض يذكر الشعار الذي طرحه هذا الأخير (لغة واحدة هي لغة الحياة).

وهناك اتجاه طالب بالتخلي عن العربية فصحى وعامية وإبدالها بلغة أجنبية نذكر منهم أمين شميل.

الوضع الراهن :

لابد من الإشارة على أن اللغة العربية الفصحى هي في وضع لا تحسد عليه. ولا بد من النظر في هذا الأمر دون السقوط في الارتجال والعاطفة التي قد تزيد الأمر سوءا.

ماذا سيكون مصير لغة أصبح استعمالها مقصورا على فترات زمنية محدودة جدا ومن طرف طبقات اجتماعية تستطيع أن تنهّرب من استعمالها: المدارس - الجامعات - مجامع اللغة العربية ... أي أنها

انحصرت رغما عنها في المجالات المتخصصة . انظر إلى استعمال لغات خليط في الفضائيات والمعلقات الإشهارية. وقد تعترضك أحيانا على صفحات لافتات معروضة للعامة أخطاء لغوية تبعث على الاشتماز.

في مقر الأمانة العامة في جامعة الدول العربية وبمشاركة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) وبحضور مفكرين من اغلب عواصم الدنيا قدمت إحصائية تدعو للانتباه 7000 لغة في العالم نصفها مهدد بالانقراض في السنوات المقبلة بينها اللغة العربية.

قدم الدكتور واللغوي المعروف عبد السلام المسدي كلمة قال فيها :
"العربية مهددة بالاندثار، وهذا ليس من كلام الإيديولوجيا" (4).

هناك من يرى أن هذا الرأي مبالغ فيه بالاعتماد على هاته الإحصائيات إذ أن اللغة الأتقلبية التي ترد في المرتبة الأولى من حيث المتكلمين بها إذ في 1958 كان يتكلمها 9.8٪ من سكان العالم أصبح يتكلمها 7.6٪ من سكان العالم سنة 1992.

بينما العربية التي تأتي في المرتبة السابعة كان يتكلمها 2.7٪ من سكان العالم سنة 1958 أصبح يتكلمها 3.5٪ من سكان العالم سنة 1992.

أي أن متكلمي العربية في ازدياد بينما متكلمي الأنقيزية في انخفاض. هذا الأمر يدعو إلى التثبت إذ أن الزيادة هي نتيجة الزيادة في الولادات وهذا لا يمكن أن ينجر عنه آليا ازدياد في المتكلمين باللغة العربية الفصحى، لابد من التذكير هنا أن العالم العربي فيه 70 مليون أمي لا يقرؤون ولا يكتبون .

على سبيل الخاتمة :

إن اللغات تولد وتنمو وتموت. وإذا ما أصاب لغتنا العربية هدم لا يمكن أن نتذكر يوماً أننا كنا من المتسيبين فيه. واهتمامنا بلغتنا لا يمكن أن يكون لدوافع نرجسية لأن المسألة هي أن نكون أو لا نكون في هذا العالم. وكما يقول الدكتور تمام حسان (القاهرة) : "لا وجود لنا إلا بوجود اللغة العربية".

الألماني يعتز بلغته فهو يرفض أن تكلمه بالإنجليزية ، وتشبنا بلغتنا العربية لا يجب أن يجعلنا نعيش وقد أحطنا أنفسنا بسور الصين لأن أي أمة انكمشت حول نفسها (إن استطاعت) مآلها الفناء لأن العيش على هامش التاريخ هو انتحار.

فإتقان لغات عالمية أي لغات العلم والحضارة تقفز بنا إلى مقدمة الركب حتى لا تدوسنا أقدام المازين، والعربية تصبح أكثر وهجا كلما غازلتها شقيقة لها.

ومن العلماء العرب من أتقن اللغة العربية وأجاد لغة العصر فسطع نجمه بين أكبر علماء الدول المتقدمة وإدوارد سعيد خير مثال.

الهوامش والإحالات:

- 1- أنيس فريخة الرجوع إلى كتاب فقه اللغة العربية وخصائصها للدكتور أميل بديع يعقوب (لبنان).
- 2- علي دب عن (هيورد) صاحب كتاب (آراء في تكوين فلسفة التاريخ) الرجوع إلى كتاب علي دب الأدب والمفكر أبو حيان التوحيدي الدار العربية للكتاب ص 141 لسنة 1988.
- 3- الدكتور أحمد مطلوب كتابه اللغة العربية والوعي القومي الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية.
- 4- الدكتور عبد السلام المسدي الرجوع إلى "دي الثقافية" مقال للدكتورة فحاء عبد الهادي (غو استراتيجية لغوية للعالم العربي- ص 131 عدد 24 ماي 2007).

عبد المجيد العياري ومؤلفاته

ونشاطه الثقافي والتربوي

بقلم : الأستاذ عبد الكريم العطاوي

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي، لولا أن هدانا الله ربّ العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد،

أرحب بهذا الجمع الكريم، الذي أرى أنّ يحضر لمتابعة هذا الحفل المخصص لعلم من أعلام ولايتنا سليانة، ألا وهو الأخ : عبد المجيد بن عمر الطاهري العياري الذي وجد عناية خاصة من دار الثقافة : أحمد بن أبي الضياف بسليانة حيث كلّفني الأخ مدير دار الثقافة بهذه الدار المعمورة: سي الهادي عبد الملك التعريف بهذا العلم وإنتاحه فليت دعوته مشكورا مساء يوم الجمعة 4 ذي الحجة وفي 7 ديسمبر 2007م على الساعة الرابعة بعد الزوال.

هذا العلم الذي قدّم الكثير من الخدمات الوفية لولايتنا، فعرف بما تاريخيا ونضاليا وثقافيا وعلميا، ومازال يعمل بكلّ جدّ وإخلاص لتقديم المزيد من الخدمات الجليلة لرجال ونساء وطنه الصغير كعربون محبة وولاء له عملا بالقولة المأثورة "حبّ الوطن من الإيمان" إذا كانت هذه غايته، وتلك مراميه السامية، فالواجب علينا - حينئذ - أن نعرف به، وبآثاره العلمية : فتقول إنه :

الأستاذ : عبد المجيد بن عمر الطاهري العياري المولود في 10 افريل 1927 بعرقوب مصباح المسمى الآن ديبش بجبل السكرانة معتمدية الروحية ولاية سليانة.

تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة العربية الفرنسية بمدينة الروحية - ثم بالمدرسة العربية الفرنسية بمدينة مكتر، وتحصل على شهادة انتهاء الدروس الابتدائية بالمدرسة الخلدونية بتونس - والتحق بجامعة الزيتونة المعمور سنة 1946 وأحرز على الشهادت الآتي ذكرها :

1- الشهادة الابتدائية بالمدرسة الخلدونية بتونس 1947

2- شهادة الأهلية سنة 1948

3- شهادة التحصيل في العلوم سنة 1951

4- شهادة العالمية في الآداب واللغة العربية سنة 1954

5- شهادة الكفاءة البيداغوجية سنة 1955

بعد نجاحه في مناظرة بدار المعلمين العليا باشر مهنة التعليم وقضى 24 سنة في التدريس منها في الابتدائي 12 سنة ومثلها 12 سنة في الثانوي ابتداء من أكتوبر 1953 إلى عام 1976.

التحق بالعمل في الميدان الصحي سنة 1976 واشتغل فيه مدة 12 سنة كمندوب جهوي للأسرة والعمران البشري بسليانة.

الأنشطة الوطنية والاجتماعية والثقافية التي قام بها :

1- المشاركة في معركة التحرير ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1952.

- 2- عضو في الشعبة الدستورية بمكتر ثم ترأسها عام 1972.
- 3- عضو بلجنة التنسيق الحزبي بالكاف ثم بسليانة لمدة 18 سنة.
- 4- قاد فريق الكشفاء التونسية بمدينة العالية سنة 1954 .
- 5- ترأس النادي الرياضي بمكتر لمدة ستة اعوام وترأس اللجنة الثقافية سنة 1965.
- 6- ترأس جمعيات إنسانية للمكفوفين والتلامذة الفقراء بولايتي الكاف وسليانة.
- 7- تولّى رئاسة بلدية مكتر 1972.
- 8- نظّم أنشطة ثقافية بكامل ولاية سليانة وأشرف على تسييرها بمعية زمرة فاضلة من رجال التربية والتعليم.
- 9- حاضر في الأخلاق والتربية والتاريخ والدين والسياسة بدعم من لجنة التنسيق الحزبي بسليانة طيلة 18 سنة <http://Archives>
- 10- شارك في عدة ندوات ومؤتمرات داخل تونس وخارجها.
- 11- له من الكتب التي ألفها وأصدرها:
 - 1- قلائد أبي الطيب المتنبي
 - 2- التربية الشاملة
 - 3- مكتر عبر التاريخ : آثار وحضارة
 - 4- مكتر عبر التاريخ 1705 - 1955 وله كتاب في هذا العنوان باللغة الفرنسية والعربية.
 - 5- تاريخ أولاد عيار

6- النقد الأدبي في مراحلہ الأربعة الأولى : نداء الهوية في زمن العولمة وصراع الحضارات.

وله من الكتب المخطوطة تحت الطبع

7- سليانة عبر التاريخ.

8- النخبة المثقفة بولاية سليانة

9- كتاب في دروب الحياة ومنعرجاتها: من رحاب جامع الزيتونة إلى تقلد الرسالة التربوية .

10- تراجم أهل الاختصاص : من شعراء وكتاب وأدباء وقضاة وأطباء ومحامين وإداريين ووزراء من رجال ونساء من ولاية سليانة .

لقد وسم بوسام الاستقلال من الصنف الرابع ووسام الشغل البرزي وهو الآن عضو في اتحاد الكتاب التونسيين وله كتابات أخرى في الصحف اليومية وبعض المجلات كمجلة الإتحاف.

سأعرض بإيجاز إلى تصانيف المؤلف التالية :

1- قلائد أبي الطيب المتنبي .

2- التربية الشاملة .

3- مكثر عبر التاريخ.

4- النقد الأدبي في مراحلہ الأربعة الأولى.

5- كتاب دروب الحياة ومنعرجاتها : من رحاب جامع الزيتونة إلى تقلد الرسالة التربوية .

أما الكتاب الأول المعنون بقلائد أبي الطيب المتنبي وقف إزاه المؤلف

موقف الانحياز الكامل له، لما كان يمتاز به من بروز وأثر بالغ في نفسه ونفسية أقرانه وأساتذته لأصالة عروبيته، وحماس هويته التي طبعت شباب تونس المثقف بطابع الثورة في ذلك العهد أي في سنة 1951 عندما كان الشباب مندفعاً ومتحمساً ومشاركاً في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي البغيض، وكان وقتئذ يتوق إلى الاستقلال والحرية، ولم يجد مثلاً أحسن من شعر أبي الطيب المتنبي المشحون بالحماسة والطموح إلى قيم إنسانية رفيعة. بهذا كان المؤلف يتمنى من شبابنا النسيج على منوال أبي الطيب المتنبي الذي عمقت الظلم والاستعمار، ويكون حالهم كحالهما حينما انشد قائلاً :

على قلق كأنّ الرّيح تحكي أو جهّها جنوباً أو شمالاً

لقد وضع الأخ عبد المجيد بن عمر العياري بين أيدي القراء الكرام هذه المساهمة المتواضعة لإيجائياتها وسلبياتها إلى الكم الهائل من الدراسات المستفيضة التي لا تنتهي لشعر المتنبي، وتساعد على تخليد ذكرى شاعر العروبة والمجد والعظمة مما حدا بأخيها الحبيب الدريدي إلى الإشادة بالأستاذ عبد المجيد في تقديمه لهذا الكتاب بقوله " بدا من خلال القلائد مثقفاً موسوعياً عارفاً بالشعر وشرحه وتحليله ونقده، وملماً بالأخبار وروايتها وتعديلها وتجريحها، وعالماً بتاريخ الأدب وقضاياه ... تشرب روح الحدائث وآمن بالانفتاح والتحديد... ومن ثم اكتسب كتاب القلائد قيمة حضارية تربوية في آن واحد، إلا ترى أنّه يصّر أجيالنا الحاضرة بضرورة الالتفات إلى التراث الأدبي والنقدي ويعتثها على أن

تنهل من ورده العذب " .

وإني أشاطر رأي الأستاذ الدريدي الذي أشاد بكفاءة الأخ عبد
المجيد العياري في هذا الكتاب الذي قام به تجاه شاعر العروبة أبي الطيب
المتنبي الذي عرض كامل أغراضه الشعرية من بينها كقوله، في مطلع
قصيد يمدح به سيف الدولة :

على قدر أهل العزائم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال أيضا في هذا الشأن :

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي آخر الثاني

فإذا هما اجتماعا لنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

وقال في امتلاك ناصية الشعر وحياسة التفوق فيه :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعر أصبح الدهر منشدا

إن أكن معجبا فعجب عجيب

لم يجد فوق نفسه من مزيد

وقال أيضا في حيازته كل المفاخر والكمالات : من فروسية وبطولة

وأدب وعلم

الخيال والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

إن هذا الكتاب الذي يحتوي على 400 صفحة، تكلم صاحبه الأخ عبد المجيد العياري عن كل ما كان يخالج المتني من اغراض ومواضيع كان يفكر فيها مع شرح وتحليل تلك القصائد الشعرية من لدن المؤلف الذي جعل بحق كتابه هذا عمدة ومرجعا اساسيا لمن يريد أن يخرج بحثا أدبيا متعمقا حول المتني، مما جعل المؤلف من الأدباء العرب بدون منازع.

أما الكتاب الثاني : التربية الشاملة

اعتمد فيه المؤلف على شرح الآية 36 من سورة النساء، لما احتوت عليه من الحقوق العشر ومن المعاني السامية في التربية، كانت بالنسبة له منهاجا قيما لإصلاح ذات البين بين قريتين متجاورتين نشب بينهما خلاف قبلي بغيض، وجفوة حادة استطاع أن يرجع الوثام والإخاء والتضامن والتعاون بينهما بواسطة الكلمة الطيبة التي القاها على مسامعهم، ولقد كانت هذه الدعوة القيمة التي قام بها، دافعا قويا له، للمضي في هذا الإتجاه التربوي، فحمد الله على تيسير هذه الفرصة بالنسبة له تيمنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا أحب إليك من حمر النعم" ومن ثم واصل التوجيه التربوي نعية زمرة من المثقفين ورجال التعليم من كل معتمدية من معتمدات

ولاية سليانة، فتوزعوا في المدن والأرياف، وتجمع الناس في حلقات في النوادي الحزبية والمساجد الدينية، وخاطبهم بالكلمة الطيبة عملا بقول الله تعالى : "ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون " (إبراهيم 24-25).

من خلال هذا النشاط عقد العزم على أن يخرج للناس كتابا في التربية الشاملة، تحدّث فيه عن الحقوق العشر التالية :

- 1- حق الله علينا أن نعبده ، ولا نشرك به شيئا .
- 2- حق الوالدين بالإحسان إليهما وطاعتهما .
- 3- حق ذوي القربى بالإحسان إليهم .
- 4- حق اليتامى بحسن معاملتهم والإحسان إليهم .
- 5- حق المساكين بالتصدق عليهم والإحسان إليهم .
- 6- حق الجار الجنب بالإحسان إليه .
- 7- حق الجار ذي القربى بالإحسان إليه .
- 8- حق الصاحب بالجنب الذي يجلس بجانبك في حلقة العلم بالإحسان إليه .
- 9- حق ابن السبيل بالإحسان إليه، وإعانتة - وهو المسافر فقد يكون غنيا في وطنه غير أنه يكون فقيرا في سفره لانقطاعه عن بلده -
- 10- حق الذين مكنتنا الله من استخدامهم في مصالحنا كالخدم والعمال الذين نستأجرهم في خدمة شؤون حياتنا بالرفق بهم والإحسان إليهم .

كلّ ذلك يتم بواسطة التواضع الذي قال في شأنه محمد صلى الله عليه وسلم : "من تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله" وقال فيه أيضا الشاعر الحكيم :

تواضع تكن كالبدرد لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع

أما الكتاب الثالث : مكتر عير التاريخ

آثار وحضارة كان الدافع الأساسي لتأريخ هذه المدينة حبه الكبير لمدينة مكتر التي عاش بين أحضانها كقوله : "أتقدم بهذا التأليف إلى المدينة التي قضيت فيها طفولتي وشبابي، وتعلّمت في مدرستها الابتدائية، وأكلت من خبزها وشربت من ماء عيونها، وتنفست هواءها عسى أن أكون أدبت شيئا من الواجب نحو موطني، وأعلمي أن تنحب مكتر رجلا يواصل هذه الرسالة فيتعمق أكثر في البحث ويجلي الغموض عن تاريخ حضارة مكتر التي تشرف الوطن الكبير تونس العريقة في مجدها وحضارتها (ص 7 مكتر عير التاريخ : آثار وحضارة).

هذا الحب المفعم، دفعه إلى البحث عن تاريخها، فاهتدى بعد لأي إلى تأليف الأستاذ شارل بيكار عن مكتر، فاتصل به بواسطة رسالة يستأذنه في طبع ونشر ما ترجمه، وبعث له النصين الفرنسي والعربي، فأبطأ عليه كثيرا، وكان من حسن حظه وجود الأستاذ العفيف بن الأخضر المفكر التونسي بباريس، فكاتبه وبعث له بالنسختين العربية والفرنسية، وطلب منه أن يسعى لدى الأستاذ شارل بيكار، ويحثه على الاستجابة ، وفعلا

أثمرت هذه المساعي، وبعث له بالموافقة، مما دفع المؤلف إلى أن يضيف إليها أبحاثا أخرى مدعمة بصور في مخطوط مرقون، يَسَّرَتْ له تأليف هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو كتاب تاريخي بحث، تحدّث فيه المؤلف عن الأقوام التي غزت هذه المدينة: كالقرطاجيين والرومان، والبيزنطيين، والنوميديين : الذين هم أصحاب هذه الأرض الأصلية ورئيسهم الملك النوميدي : "ماسينيسن" المولود في 238 ق م والمتوفى في 148 ق م الذي دافع عن وطنه ، ووقف ضد الأقوام الدخيلة : كالقرطاجيين وغيرهم وكان يقول دائما وأبدا : "إن إفريقيّا لا يمكن أن تكون إلّا للإفريقيين، ويجب أن تبقى للإفريقيين". مما أكسبه محبة من شعبه، فأقام له بعد موته معبدا يحمل اسمه في مدينة "دقة" .

بعد هذا، ختم المؤلف كتابه بأسئلة وجهها لأستاذنا الدكتور محمد حسين فنطر، طالبا منه شرح ما غمض عنه. إن أدل ذلك على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على أن الأستاذ عبد المجيد العياري كان يتعقب أبحاثه التاريخية ببحوث تاريخية معمقة .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ألف كتابا آخر يدعى : مكثر عبر التاريخ من 1705 - 1955 تحدّث فيه عن تضاريس ، وثرية ونباتات أرض مكثر كما ترجم الكثير من رجالات مكثر والروحية وكسرى وسليانة في النواحي الثقافية والعلمية والنضالية ضد الاستعمار الفرنسي وغيره.

وهو كتاب قيّم من الحجم الكبير، يعدّ مرجعا أساسيا لذوي

الاختصاص أرجو من القراء أن يعودوا إليه لمعرفة موطنهم بولاية سليانة لأنه احتوى على كثير من المباحث الهامة.

أما الكتاب الرابع المعنون بالنقد الأدبي في مراحل الأربعة الأولى :
نداء الهوية في زمن العولمة وصراع الحضارات

سأعرض على مسامعكم صراع ونضال أحنينا عبد المجيد بن عمر العياري عن اللغة العربية التي تعتبر كيانا وعاملا هاما لحياتنا قد تعرضت لغزو أجنبي، قصد محو الهوية العربية التي نعبر بها عن أغراضنا، وهي التي علمها الله لآدم أيام إقامته في الجنة (وعلم آدم الأسماء كلها) 1. وقد عززها الله بالقرآن الكريم فقال : "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". (2)

هذا الغزو من قبل الاستعمار لإفكك أراضينا قد قوبل بمحاربة جماهيرية عظيمة، نتج عنها طرده من أراضينا، فجمع قواه المنهزمة وأعاد هجومه علينا باستراتيجية أخرى، تمثلت في القضاء على الهوية العربية وتحقيق وصية قديمة للملك فرنسا لويس التاسع: الذي قاد حملتين صليبيتين: السابعة والثامنة ومات بالطاعون تحت أسوار تونس سنة 1270 م لقد أوص ذلك القديس ينقل الحروب الاستعمارية بشكل : يتمثل في الغزو الفكري، وإدخال الشكوك فيما ورثه العرب من ثقافة وأدب وحث قومه على تعلم اللغة العربية للقيام بهذه المهمة الخطيرة فنفذوا الوصية، وظهر ما يسموهم بالمستشرقين والمفسرين وقام المستشرقون بالبحوث العديدة في تاريخ اللغة العربية وآدابها. وألفوا كتباً كثيرة بثوا فيها

سمومهم فشككوا في صحة الشعر الجاهلي، وفي نسبته لأصحابه، وقللوا من قيمته وادعوا انه متحل جاف مثل جفاف أرض العرب الصحراوية.

والحال أن بعض المنصفين منهم يقرّون بحمال اللغة العربية ونفاة شعر المعلقات السبع ومتانة شعر صعايك العرب التي من بينها (لامية العرب) التي صارت تدرّس في الجامعات الأوروبية لبلاغتها ولما فيها من مبادئ أخلاقية ونزعة اشتراكية.

1) أما المستشرقون المعتدلون والمنصفون منهم تعلموا اللغة العربية لتنفيذ وصية القديس ولما تعمقوا في العربية وقفوا مبهورين أمام عدالة الإسلام وصدق ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم سمحة، وتحريض على الأخلاق الحميدة بلغة عربية فصيحة، فاهتدوا بما رزقهم الله به من عقل سليم إلى الإيمان بالله، والإشادة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اذكر من بين هؤلاء المستشرقين "رينان" الذي قرأ سورة ابن هشام وغيرها، فأقرّ بما جاء فيها عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومثله المستشرق "كارليل" 1795-1881 وهو أنكليزي أخذ العربية عن رجل في بغداد وصار فيما بعد أستاذا في جامعة "كمبريدج" ودرّس فيها العربية للطلاب، وألف كتابه "الأبطال" فمجد بطولة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدّق بما جاء في دعوته للإيمان بالله، ونوّه بقيمة اللغة العربية ونسج على منواله الأديب الكبير والكاتب الروائي الفريد "تولستوي" الروسي الأصل الذي مدح الإسلام واللغة العربية، وأعلن

إسلامه، ولم يأبه يرفض البابا له من المسيحية وحرمانه من الرحمة وللشاعر المصري محمد حافظ ابراهيم قصيدة يشيد فيها بإنسانية (فكتور هيكو) 1885م صاحب كتاب (البؤساء) الذي حرض قومه في كتاباته على اتباع سيرة الإسلام مع إبداء إعجابه بهذه اللغة العربية فقال:

سواء أأرى في قومه مسيرة الإسلام في عهد النبي

(2) أما الصنف الآخر من المستشرقين، وأتباعهم وتلامذتهم. فهم من ألدّ أعداء الإسلام واللغة العربية وفي طليعتهم المستشرق البلجيكي الحقود "لامانس" الذي اشتهر بأبحاثه عن **عرب الجاهلية**، والعهد الأموي فقد شكك في تاريخ ولادة النبي **صلى الله عليه وسلم**، كي يثبت أن النبوة لا تكون إلا على رأس الأربعين من العمر، وإخباره بتزول الوحي عليه كان قبل بلوغه سن الأربعين حسب دعواه. وبث في كتبه مقالات كلها تزوير للحقائق وتحريف لما في الشعر الجاهلي من أصالة، ورمي الشعراء بالجمود والتحجر.

أما المستشرقان اليهوديان (يوسف شاحت، وجولد تسهير) فقد جرّدا أقلامهما الهدامة وسرّبا أفكارهما المسمومة وأشعرا حرمهما على اللغة العربية والإسلام، وأمام هذه الحملات الثقافية أعلن الكتاب العرب في الأقطار العربية، حملات تشهيرية تندد بمؤلاء المغرضين، وتكذّب ادعاءاتهم، ودافعوا عن فصحاء العرب في الجاهلية الذين اشتهروا بخطبهم (قال عنهم الأستاذ أحمد الزيات في كتابه : تاريخ

الأدب العربي ص 19 : "يمتاز النثر في الجاهلية بحريانه مع الطبع، فليس فيه تكلف ولا زخرف ولا غلو، يسير مع اخلاق اليدوي ويبتته، فهو قوي اللفظ، متين التركيب قصير الحيلة، موجز الأسلوب، قريب الإشارة، قليل الإستعارة، سطحي الفكرة وربما تساوقت فيه الحكم، وأطردت الأمثال من غير مناسبة قوية ولا صلة متينة".

ولقد اشتهر خطباء كبار في العصر الجاهلي، توخوا اسلوب الترسل، ثم ظهر في خطبهم السجع وهؤلاءهم : قس بن ساعدة الأيادي وعمر بن كلثوم التغلبي وأكثم بن صيفي التميمي ، والحارث بن عباد البكري وقيس بن زهير العبسي وعمر بن سعد يكرب الزبيدي .

أما الشعر الجاهلي، فعلى ما هو عليه من فصاحة وجزالة، فقد شكك في نسبته لأصحابه المستشرقون ونسج على منوالهم ادباء من صميم الأمة العربية، ومن أشهرهم الأديب الكبير طه حسين الذي كانت حملاته التشكيكية شديدة الوقع على القراء في الدول العربية وتهاطلت عليه الاحتجاجات والردود القاسية واعتبروه التلميذ الناقل لما تعلمه وتلقاه من دروس في جامعة السربون على أيدي المستشرقين الذين تعوزهم الزاخرة في تدريسهم وأبحاثهم ووردت أقواله في كتابه (في الشعر الجاهلي) فصادرت الحكومة وأطردته من الجامعة المصرية.

والخطر كل الخطر على اللغة العربية هو أن البعض من أبنائها يعمدون إلى النيل من لغة الضاد بنشر كتابات خاطئة مظلمة للحقائق ليأخذ بها شباب الأمة ، وكمثال على ذلك إنه صدر في جريدة الصباح

يوم 12 مارس 2002 مقال بعنوان (اللغة في الشريعة والمجتمع) على غرار عنوان كتاب المرحوم الطاهر الحداد "امراتنا في الشريعة والمجتمع" وادعى الكاتب وهو أستاذ جامعي اسمه الهادي البالغ إن المرأة في تونس تحررت من القيود وأصبحت تؤدي وظائف عديدة في المجتمع كانت ممنوعة عليها، ويقول: "إن اللغة العربية هي كذلك لم تتحرر من القيود المكبلة لها، وبقيت جامدة محاصرة وعاجزة عن أداء مهمتها في العصر الحاضر وليس لها أسماء تسمى بها المخترعات وغيرها مما ابتدعه الفكر البشري ولذلك فهو يفضل اللغة الشعبية العامة عليها لأنها غير خاضعة لقواعد نحوية ولا صرفية ولا بلاغية ولا عروضية: كاللغة العربية فهي متحررة من أي قاعدة تعطلها. ولقد رد على مقاله أساتذة لهم باع وغيره على اللغة العربية وصدر الرد الأول في جريدة الصباح يوم 22 مارس 2002 للأستاذ محمد عزيز بن عامر بعنوان (الهوية العربية جوهرا، واللغة العربية أساس وجودنا) وصدر الرد الثاني بجريدة الصباح يوم 29 مارس 2002 للأستاذ الحبيب إبراهيم الأسود بعنوان (رفقا بلغتنا العربية) .

أما الرد الثالث فقد صدر بجريدة الصباح يوم الأحد 2 جوان 2002 بعنوان (ضبابية المفهوم وثقافت المرجعية) بقلم الأستاذ رضا بن صالح وأجمعت الردود على شجب ما جاء في مقالة (لغتنا في الشريعة والمجتمع) واستصغار الفكرة الرامية إلى إنزال لغة القرآن إلى مستوى العامة هذه التي لا يمكن أن تكون لغة تدون في الكتب، والكثير من الكلمات فيها يصعب نقلها بالكتابة، وإذا كتبت لا تأتي موالية لما يقع

النطق به في غالب ألفاظها: وهي خليط من العبارات التي لا تمت بصلة إلى العربية، ففيها كلمات لاتينية وبربرية وفرنسية وتركجية الخ ...
وأما اللغة العربية فهي لغة القرآن لا تبديل فيها ولا تغيير وهي مفتوحة على المسميات الحديثة لكل ما يخترع في جميع الميادين الصحية والصناعية والتكنولوجية .

إن مقال (اللغة في الشريعة والمجتمع) كتبه صاحبه يقصد الظهور حسب المثل الشعبي (خالف تعرف) ولكنه كَرَّاقم على الماء لتفاهة الفكرة وإني الفت انتباه الشباب إلى مثل ما يمس بمكانة لغتنا العربية، وأن يأخذوا بالنصائح فيرجعون إلى المخزون الثقافي. والأدبي من الرصيد العظيم الذي خلقه لنا الأجداد وليعلموا انه لم ينبغ شاعر إلا بعد أن تشيع بحفظ أشعار القدامى ولم يوفق إلا بعد أن قرأ للحافظ ولابن المقفع ولبدیع الزمان الهمداني وغيرهم كثير.

ولقد ذكرني مقال اللغة في الشريعة والمجتمع بقصيدة الشاعر المصري محمد حافظ ابراهيم التي عنوانها بقوله (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها فهي الجواد الملحم لكل فم يذم اللغة العربية).

رموني بعقم في الشيارب وليتني عقلت فلم أجزع لقول عدائي
ولدت كما لم أجد لعرائس رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعفائي
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق اسماء لمخترعائي
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغواص عن صدفائي

أيظربكم من جانب الغرب تاعب ينادي يوادي في ربيع حياتي
 أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة
 سرت لوثة الأعاجم فيها كما سرى لعب الأفاعي في سبيل فرات
 فجاءت كتوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
 إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكائي
 وقال أيضا أحمد حسن الزيات :

فلا تلكوني للزمان فإني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
 أرى لرجال الغرب عزًا ومرتعة وكم عز أقوام يعز لغات
 اتوا اهلهم بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات
 بقي علي أن أقول له ولأمثاله من أبناء الأمة العربية هل سمعتم أن الله
 تعالى تكفل بحفظ لغة القرآن فقال : "إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له
 لحافظون". وهل قرأتم أن اللغة العربية، لغة الحياة تتطور وتماشي كل
 مستحدثات التطور العلمي والتكنولوجي والإعلامي، لأنها تعتمد على
 العلوم الأصلية التالية :

- 1- علم التعريب
- 2- علم الاشتقاق
- 3- علم التوليد
- 4- علم الصرف
- 5- علم الترجمة
- 6- علم المعاجم

7- علم الاستيعاب لكل المستحدثات التكنولوجية والإعلامية
لماذا ؟ لأنها طيبة ومتولدة ومتحاكة لكل اللغات العالمية التي تستمد منها
بعض الكلمات وتعمل في الآن نفسه على تعريبها. وهذه خاصية
معروفة بما دون غيرها من اللغات.

لقد ذهبنا مرة إلى بعض المكتبات الثقافية ورأيت مجلدات ضخمة
تحتوي على قطع غيار صناعات عصرية كالسيارات والشاحنات
والطائرات

وإني أحيل هذا الأخ إلى جامعة دمشق على ما أعلم أنها تدرس كل هذه
العلوم بلغتها العربية. كدريسها للكيمياء والفيزياء باللغة العربية أيضا
مما يجعلنا متعلقين ومتشبهين بلغتنا العربية القادرة على مسايرة التطورات
العصرية.

وفي الختام أنوه بأخيئنا المؤلف عبد المجيد العياري الذي أبي إلا أن
يهدي كتابه هذا المسمى بالنقد الأدبي في مراحلها الأربعة الأولى إلى
أساتذته الذين حصرهم بـ 64 شيخا كما أبي أحيل القراء إلى هذا
الكتاب الذي يعتبر مرجعا أكاديميا لا تقل أهميته عن كتب أدباء العرب
نظرا لما يذله المؤلف من جهد كبير أرجو من الله تعالى أن يكافئه الثواب
الجزيل ويجعل له طريقا معبدا إلى جنات النعيم.

وأما الكتاب الخامس المعنون : في دروب الحياة ومنعرجاتها

يدلّ دلالة واضحة على أن أخانا عبد المجيد العياري كان يمتاز
بأخلاق فاضلة ومبادئ سامية وقيم رفيعة وأمانة مخلصنة وتمسك بواجب

المهنة عند أدائه لواجبه التربوي رغم المضايقات التي تعرض إليها من لدن زملائه، وبعض الأولياء، والمسؤولين، والمشاكل المحيطة بالتدريس، مع العلم أن الكتاب اشتمل على تجارب في الميدان التربوي، وعلى إرشادات تخص نظريات علماء وأقطاب التربية في الشرق العربي وتونس، وفي أوروبا وأمريكا .

لكن صاحبنا قد تلقى هذه الصعوبات الكبيرة برحابة صدر، وسعة بال، وصبر لا حدود له، مما جعله يفوز في النهاية بقصب السبق ويحقق ما رسمه في مسيرة حياته التربوية كل هذا كان يفضل بعد نظر، وحماسه وتشبته يقول أحد الشعراء :

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

هذا النجاح الباهر الذي حققه الأخ عبد المجيد العياري كان بفضل صموده، كما لمست ذلك في جواهر تحريره، القيم الذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذا الكتاب الفريد في أسلوبه، والذي لا يخلو من التشويق من خلال اعتماده المكثف على القصص الواقعية التي عاشها المؤلف للتدليل على أن المطالع سيجد في نصوصه رغبة ملحة وانجذابا قويا لإتمامه، وهذا لعمري بمجهود يستحق التنويه، لأن من مواصفات الكتاب الناجح، أن يكون مشوقا.

كما احتوى هذا الكتاب على عناصر إيجابية مضيئة أخص بالذكر منها: مناقشته لزميله المعلم الفرنسي المسيحي، فيما يتعلق بتحريم زواج المسيحي بالمسلمة، ومحاورة بعض الأولياء والمسؤولين السياسيين الذين

ضايقوا المؤلف بنيات سيئة قصد الإساءة إليه، وصبره الكثير على ممارسة بعض الزملاء الذين خاتوا أداء الأمانة التربوية، وتراجم الأعلام المخلصين لمهنتهم.

1- فمناقشة الزميل المسيحي حول الزواج بالمسلمة بين المؤلف الذي كان يتشبث بروح الدين الإسلامي وكان يسوق أدله مقنعة بأسلوب أدبي رفيع لزميله : يتمثل في ان الدين الإسلامي يعترف بكل الديانات السماوية التي جاءت عن رسل ذوي العزم، بعنهم الله لإخراج قومهم من الشرك إلى التوحيد.

بينما أنتم المسيحيون لم تعترفوا بديننا الذي هو دين سلام وإخاء، في حين أن دينكم هو الذي أعلنكم صراحة بمحيي نبي اسمه أحمد يأتي فيما بعد مما يجعلكم مرتدين عن تعاليم دينكم، هذا سبب وجيه في عدم الزواج بالمسلمة.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

2- أما محاورة بعض الأولياء والمسؤولين السياسيين الذين ضايقوا المؤلف بنيات مبيتة قصد الإساءة إليه تبرهن بصراحة على قوة شخصية المؤلف الذي لا يلين أمام الصعوبات المنحرفة، بل يجابهها بعزيمة فلاذية وصبر لا حدود له، وكمثال على ذلك لقد ذهب مرة إلى بعض الأولياء في الحمام، وأجرى معه حوارا بناء لإصلاح ما بنفسه من اعوجاج حتى يعود ابنه إلى طبيعته وفطرته التي خلقه الله عليها، ومن ثم سيعود مشاركا في الدرس، ويحقق لنفسه النجاح، ولقد قال له، هذا قاسم مشترك بيني وبينك أيها الولي، وفعلا تحصل بعد عناد من الولي على

مبتغاه، وهذا دليل واضح على فوز أختينا عبد المجيد العياري المتمسك بالمبدأ التربوي.

أما محاورة بعض المسؤولين، كانت محاورة عملية لا قولية، وذلك بشجاعته النادرة التي تمسك بها عندما تعرض إلى التهديد بالعقاب والقتل، مما جعل هؤلاء المسؤولين في النهاية يعترفون له صراحة بهذه الشجاعة النادرة، ويطلبون منه السماح بما صدر منهم تجاهه.

3- أما صبره الكثير على ممارسة بعض الزملاء الذين خانوا الأمانة التربوية، تتمثل في مناقشتهم وإرشادهم، لأداء رسالتهم التربوية وذلك بإقلاعهم عن التدخين في القاعة، وشرب الخمر حين مباشرة عملهم، كما أنه ثار على ممارسة بعض المتفكرين تجاهه وتجاه زملائه، مما جعل البعض منهم يعترف له صراحة بسوء هذه المعاملة.

4- أما تراجم بعض الأعلام المخلصين لمهنتهم تبرز في أن أختانا عبد المجيد كان يعطي لكل ذي حق حقه، ولو كان ذلك الشخص فرنسيا كالسيد مدير مدرسة مكثر "جورج فريطا" الذي أحبه لإخلاصه لمهنته التربوية، فاقتدى به في حياته التربوية فيما بعد، وجعله أسوة حسنة له. إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على صدق ونزاهة وإخلاص التلميذ لمعلمه في المبادئ التربوية السامية التي انطبعت بها نفسيته مع تلاميذه كما قال أحد الشعراء :

قف للمعلم ووفه التبجيل كاد المعلم أن يكون رسولا

أما الكتابان المخطوطان : السادس والسابع اللذان ينتظران الطبع هما :

1- تراجم أهل الاختصاص من شعراء وكتاب وأدباء وقضاة وأطباء ومحامين وإداريين ووزراء من رجال ونساء، من ولاية سليانة

2- كتاب (سليانة عبر التاريخ) فيه دراسة موسعة وبه 520 صفحة.

هذا العمل الكبير الذي قدمه الأخ عبد المجيد العياري لولايته سليانة ومن ورائها لوطنه تونس، وللأمة العربية يدل :

1- على حبه المفرط لولايته سليانة ، ومسقط رأسه الروحية ومكثر

2- حبه للوطن التونسي والعربي الكبير

لذلك يستحق منا الشكر والإشادة بإنتاجه الثقافي لأنه جعل ولايته معروفة بإنتاجها الثقافي عربيا .

كما لا يفوتني إلا أن أشكر سيادة الرئيس زين العابدين الذي أكرم أحنانا، بأن بعث له مصحفا قرآنيا مع وزير الثقافة والمسؤولين الجهويين وعلى رأسهم والي سليانة. فبارك الله فيهم جميعا على هذه اللفتة الكريمة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر أحنانا عبد المجيد العياري على ما بذله من جهد كبير في إخراج هذا الإنتاج الغفير من الكتب التاريخية والدينية والأدبية، وتراجم الأعلام الجديدة بالمطالعة والاقتناء ، وأن تزدان به كل المكتبات العمومية والخصوصية، وأن يجعله الله له في صحيفة حسناته يوم القيامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وسائط التخزين

بقلم : لمياء بن جنت

تحدث خلال هذه الورقة عن وسائط التخزين والمعلومات. فقد عرف حجم المعلومات في السنوات العشر الأخيرة تطورا من حيث وسائط التخزين الذي يحمله Flach disque من 64 إلى 265 إلى 518 ميقابايت وبقوة مختلفة 1 جيقا إلى 8 ج إلى 16 ج إلى 32 جيقا. يعود تاريخ أول قرص تخزين إلى عام 1956 وهو من النوع الصلب Ramac وقد قامت بانتاجه شركة I.B.M. والآن نرى أن أكثر من نصف قرن من عمر وسائط التخزين لنجد أنفسنا أمام الأقراص القلمية. كانت القدرة التخزينية 4.4 ميقابايت أي بحجم 3 أقراص لينة. من الأمور الطريفة أن وسائط التخزين كانت بحجم الشلاحة الكبيرة وكانت قادرة على حمل 2000 وحدة من البيانات بتكلفة تقدر بالدينار التونسي 13 مليون أما الآن - وهذا من المفارقات - أن 2 جيقابايت به 40 د تونسية! وهي قادرة الآن على تخزين 160 د جيقابايت وهي المتناولة الآن في البورتاتيف وتكلف 1 دولار جيقابايت من 10000 دولار إلى 1 دولار وهذا أدنى سعر وأعلى حجم على الإطلاق في تاريخ وسائط التخزين. لقد تضاعف الكَمّ الهائل من المعلومات به 11 مرة منذ 2003 ولم تعرف أي تقنية في عمر البشرية بهذا المستوى. فالعالم الرقمي بالفعل - تجاوز الحيال فقد حقق نسبة 60 مليون مرة عن السنة التي ذكرنا 2003 والفضل يعود إلى المؤسسات المعلوماتية.

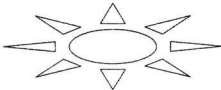
الأشكال الرقمية متنوعة الآن لذلك انتقلنا من تقنية الحيقابايت إلى تقنية الاكسابايت وهي تقدر بضعف الأولى بـ 1000 مرة ومنها أقراص C.V.D و D.V.D... والأناالوجيك الرقمي في وسائط تخزين كبرى ولذلك كان من نتائج ذلك أن حققت الإدارة التونسية ربعا كبيرا في الورق أي في كمياته حيث تناقصت كميات الورق المستعملة في الإدارة التونسية مقابل زحف البيانات الأتترناتية

يتوقع العلماء في 2010 أن يصبح لدينا كميات ضخمة من المعلومات الرقمية في آلات تخزين حتى أن هذه الأخيرة قد لا تقدر على تحملها لكن تتساءل والحال أصبح هكذا : ماذا قدمنا للغة العربية وماذا لو استغللنا الأتترنات للتعريف ببحوث ودراسات والنداعات في الثقافة العربية المعاصرة والقديمة ؟ .

ARCHIVE

ضجة الإيفون : <http://Archivebeta.Sakhrir.com>

هذا آخر ما ابتكر العلماء وهو موجود فقط في أمريكا وهو جهاز يلخص ويختزل راديو/تلفاز/حاسوب ويحتوي على عديد الخدمات المتطورة جدا ويتم استعماله باللمس فقط كما يمكن مستعمله من تلقي البريد الإلكتروني. نشير إلى أن "الإيفون" مازال في نسخته التجريبية في الولايات المتحدة الأمريكية.



في مائوية ميلاد الأديب :

محمد الحليوي

شعر : عبد الرحمان الكبلوطي

إلى القبر وإن شددنا الرحال

فلاقي الأخلاء في الاحتفال

بذكرى الحليوي الأديب الأديب

وما قد عرفنا له من خصال

وما كان للنقاد الفدا حقا

من الصديق في نقد والجدال

وما كان في شعرة من بريق

ومن عمق رأي نهي الجمال

وما كان فيما عخره

إلى خير خلانته من مقال

أتينا وعادت بنا الذكريات

ليطفو على السطح أحلى سؤال :

تري كيف كانت حياة الأديب ؟

وضوء النجوم ونور الهلال ؟

لنأتي الإجابة مزهوة

وننزل كالماء صافي زلال

تعيد علينا الأماسي الحسنان

وشعرا عظمى مجد الرجال

أحبوا المدينته ها موارها

وأودى ظمير سحرها والجلال

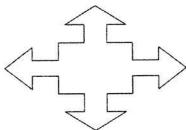
وكانت فكاها ظمير في الحمى

بكل المجالس أسنى مثال

وكانت بأقلام ركناها

تشيع الحماس وتذكى النضال

وكان (الحليوي) مع (الشاذلي)
كما كان (فانزنا) في النزال
و (مزهود) من بعد (صلامنا)
بشعره يصعد أرقى الجبال
و (جعفر) والآخرون توأوا
جواهر في قيروان اللآل
تزين المدينة مثل العروس
وتلقى بنونس حسن المآل
وفي مثل ذكرى (الحليوي) سبقي
إلى القيروان نشد الرجال



كلّما شقّني الوجد قلت : أحبك

شعر : الهادي العثماني

كلّما

مرفرف في فضاء الكون عصفور

يغني للصباح البكر

للسعس الوليد

للأمانني الخضر في ألح الضياء

وللمراعيك الجد يد

كلّما انتشر الشذى

من زهرة سكرى بأحلام سعيد

واشبهت لغته الوفا بوحا

يسمى العشق أغنية القصيد

قلت في ولعي بك

قلت : "أحبك"

قلت : يا قمر الليالي الزهر

يا امرأة توشح مروحها بالظهر
وانجعت أقالير الفضيلة والوفاء
أعانق طيف التي أحبت من زمن
توغل في مداه العشق
وانصرت خيول الفالحين وقد غزت
قلت أحبك

كلما عانق مروحي الشوق من ألم الفراق
تسريت أحزاني يوما... رزما...
حتى اغتراني من هواك الوجداني والإلهام
فارتفعت بي الروح إليك...

اشرعي لي باب قلبك
قلت يا فاطمة الإلهام
والوحي الموجه بالهوى...
أهواك، لا أنساك
لست العمر أهوى غيرك
لا أشتهي امرأة سواك

أحبك ... قلت أحبك

كلما شب الحريق بداخلي

واسنوطنتي الحيرة الحري

وقال الليلي:

قمر لا تهر

يا انها المعنوة قمر

وارفع صلاتك - لا تهر

واجعل طريق العشق درب مرجلك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

... سرت بلديك

اذكرني

في هسيس الحرف لوعة شاعر

عزف الهوى نغما فريد اللحن

في نسق شجي

لا يهادن غربة الروح التي انشترت شظايا

في سياق القول، وارتمت مرايا

واعترفتني في تفاصيل العنا ...

قلت أحبك

*** **

هل تسمعين صدى تجيئك من بعيد

كي تكوني قريبة مني ؟

فنامي بين أحضان القصيدة

كي تكوني مرديتي ...

تخضع عشبك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

يا نجما تألق نورة في غيب الظلمات

يا امرأة تحوّل العشق

يا أنثى تحجر مدينة كبرى

مطلسمه الأحاجي

منعت أسرارها، واستغلت

... قلت أحبك

آ... يا امرأة تحجر الكون والنار

والحب الذي يتناهي
هلا أرحمت مطيتي
إنني أتيتك من بعيد مراحلا
فدعيني قريبك

هذا الهوى البدوي
يرسمني وليدا أو شهيدا
يمنح الليل المسرود بالأمان حلمه

تغناله الأيام
يقتلني الحنين
ARCHIVE
<http://Archive.aa.sakhrit.com>

على مشارف امرأة
يصلني القلب في محاربا قبل الوصول
على شفا بوح تسلك من شفاء الحرف
قربك الخطي ...
..... وأنا أحبك

سيزيف

قصيدة : للشاعر غابريال كوزان

تعريب : مختار المومني

ورأيت

بأصابع مبنورة

قطعنها الآلة

يملأ يدي

يشير إلى أمل مشرق

ARCHIVE

تخبين مسلوخ

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

سلخنها الآلة

تخطسطور المجد

يرنو للحرنة

وبساق مقطوعة

قطعنها قاطرة الفحم المحنونة

يدب ليلحق صف السمر

وبعين محترقة

حرقها أغشوة المصنع
جدلا برنوا للآتي
بلذراع مبنورة
أكلها مروحة الطائرة النفاثة
يتاومر من أجل العدل
يلدعو للحرية
ويخلق محرق
حرقه غازات المنجم
يتغنى بالحب
مرثاة فاسدتان
ولكنه كان سعيدا
يشفس فرح العالم
يسحنته الشهوا
ينحلي العجز
نهيا كان
وجيلا كالنجم المشرق

تناصح في مسألة فوق الطبع

الإهداء : إلى علي والحسين

شعر : هشام حثيرة

أنت أقدم مني بفعل الحزن
وأقدم منها أنا بفعل الموت هذي الدنيا
نحن أتعسنا التئيش ..
وعليها أقام العص الحذ

حذاء الحادك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حذاء من أنت ؟

من وجعك ؟

سامح عهدك أو قاطع

أو عاملك بالواقع

حذاء من وردك ؟

من فرض عليك الهد ؟

طاوع مرطحك
قلدر ما يريد الزرع
طاوع ما كلفك الموت
فلنوصيك بنقوى الحزن
كل حلولك عند الحزن
ولتقبلك كما افناك هذا الشعب
وهذا الشعر وهذا الوزن
أيا مكن كرجع الصبر من
وعلني الداء شديدا الحزن
أقلت من هذا السرد
من هذا الشنع الممهور
من هذا الفرع الممهور
من هذا الوضع الممهور
وكل من كحك النعمة
قرتاح خضضك كل الريح

تضحك مرة في الأمر

فيظهر عمرك

وقد احترق بالشئ

تنزل فجمعك بالشعر

تأمل فيك

كيف فرخت النجمات

وقامت بظهورك

حاولت أن تأتي لها بالبرق

<http://Archiv-beta.Sakhrit.com>

لكل الناس

لكل الأرض

أنت وسامة هذا البرق

ونام صوتك حذو الطير

هل آن موتك هذا الرعد ؟

هل لأن القمر

لهذا السنخ ؟؟؟

هل ماتت حياة الإعصار؟؟

توعزني الأسوار فنزلت ..

عذبت الأقماع

حرق حسد الأمطار

تلصت شفاء الشعر

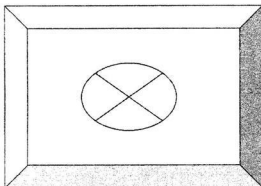
فيست ففس والهمرت

لبست الآمال كفي

ARCHIVE

<http://Archiveeta.Sakhr.it.com>

في إخصار ... /



نواقيس المدينة

شعر : حمادة صالح

الثينا والريح وجهنا

وأغانينا ...

نسر جاعيدنا في برج

المدينة ..

وشارع آخر للنسيان يكتب قلبي

ARCHIVE
في قديم الظل ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

كم الثينا والليل أمواج

يسرق مني عيونك

وبعض جسمي ..

تدخل شرفة الفراغ ، حين

تند خطانا ، ويضع الحبي

من أمامي ..

وأمدك في سبيل العمر

أغنية ..

مرش الحمام رنسا قط على

حدائق العيون العسلية

ووجه أمني مضغة للعواصف

وساعد صخري أو فاري ..

شهوة أخرى لاحتضائك

وأنت قمر عند مطلعك

أشباح المدينته

وشكل أفتاك

وأشعة السفينة ..

سفنح المدينته

والعوا يشد موجنه

الأخيرة ..

نبيل أو يبللنا الوحل

وتسافرين في جسمي

زريعة، حين تلقني

النواقيس

سطلين على المدينة..

خيمة، فيها الرفاق

قناديل، ومشوار آخر



وأنت مضمين في جراحي

<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

وتلهفين لمعانة

أسفاري...

وبعض من ذنابات الروح

أوقع باسمك نواقيس القصيدة

وخراعي منطلق

لنسمات المدينة...

إيقاع صباحي

بقلم : مسعودة بوبكر

صباح الخير أيها البهاء الوحشي يا آية من أي الكون العتيقة بلمسة
الاعجاز والعظمة.. صباح الخير أيها الممتد الشارق بالحياة.. أمشي على
الرمل يكتسحي إحساس بأني لست سوى ذرة رمل هنا أمام لوحة
الشروق الأزلية للشمس فوق البحر.. شمس شتوية تحف بما غيمات
رمادية باهتة وأخرى داكنة تسرّ أعمدة النور المستفيق ان تتمطط حولها
لتربط الأفق بعرض البحر المنهمك في مطرّزاته الزبدية.

تستفيق رغبي القديمة في خلج نعالى أمام سحر مماثل بامضاء البديع
المبدع الأول والآخر.. خلقي تعلق أنجدة الصباح ذوابات الزنبق
الساحلي تغوص عروقه في الرمل وترتشف الزهرات المتطلعة إلى النور
غمرات اليود المتجددة. أمضى برغبة العملاقة في محاولة قبض على
تفاصيل الرسم المثمر للكون حولي ابان استفاقة الصباح على شاطئ
حال.. في موسم شتاء.. أشفق على قنديل بحري انكمش كبرياؤه وقد
عراه المد واهمد الفناء رقصاته اللولبية باتجاه السطح.

أسير .. يلسعني برد الرل المبلل بين خطوط رسمها المد ليلة البارحة
القمرية صفوف الموج تتدافع يعلوها الزبد في محاولة فاشلة لملازمة
أجنحة النورس المهتاج على لوحة الأفق المسربل في ألوانه الضبابية حيث
تحتدم أهداب السماء بشفاه البحر.. أقف يطوقني زخّ مطر خفيف

ونثار الموج ولون الزبد واستدارة الأفق الغائم على تلك المساحة من الشاطئ حيث أنا كحقة من عاج ومحمل لبني عملاق... تملكني رهبة، أف وأحجل من وطء عذرية الرمل المفتسل وهو يتشلف بخيوط الشمس التي مازالت منخفضة خلف ريش متفرق من الغيم تسلمت إليه بين الماء والسماء.. أفق حميمية العناق قهيبا.

كان لا بد أن تغور في الخاطر هذه التحية لصباح بادري بسحره في ركن ساحلي بمنأى عن العاصمة بحثا عن ذاتي... عن أفكاري المبعثرة في خضم جواني استعصى على أن انغذ إليها بيسر فامتخصها وأرتاح، تسكنني الحاجة الماسة للوضع.. للولادة حتى لا يتكس الحال إلى صمت قاتل... هذا الصمت الذي أحت الخاطر أن يلقي في بثره العميقة ما يحركه ويحدث فيه دوائر الحركة ويرسل عبر موجات متصلة صوت ارتظام متبوعا بطنين <http://www.archive.org/details/SalehAlHattafi> إلى أعلى... حينئذ، تستفيق البرقات من سباتها الحريري وتقفو إلى النور... عندئذ، يطلق القوس المشدود سهامه.

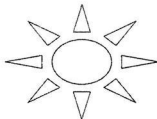
عندئذ تنفتح البوابة العتيقة على سلمات المرمز العتيقة باتجاه قصر البوح العامر الفاغم بسر الأسرار.. وروح الكلم الهائمة ترتقب القرار والاستقرار على بياض المحامل من مدونات وأسفار.

ككل مرة... مثل وليد يتهجي صرخته الأولى ويجاهد النور بأهداب مرتجفة للمرة الأولى، ثم يمضي يتحسس حروفا مرتبكة على طرف لسانه ويتعقب خطوة مترددة على الحصى.. أصدع باتجاه الممتد حيث

أغمض عيني وأقبض على فتيل الكلام المتأرجح في غمار الأسرار..
 لأستعذب تلك اللحظة وأنا أشد علة أنفاسي وعلى الخيط الرفيع كي لا
 ينقطع وربما جرتني إلى مياه عميقة أغوص في تيارها الجوفي وربما عرج
 بي إلى أفق ناري من لب أزرق وربما حلق بي في ضفاف من صقيع
 وربما حط بي على قمم تشرف على بطاح شاسعة يموج فيها الورى في
 هرج ومرج وتنازع وتناحر هوي بالنفس في أتون الحسرة والتفجع..
 أمني النفس بإمساك المعاني الخام أو بطينة الصور البكر.. باقتناص بعض
 صحف الغابرين الهائلة في منعطف الرياح العلوية.

ربما امتشقت ربة الكلام رغبة العطاء ومفحت على قدمي المرتبكتين
 عند سلمات الممر، نبذ المعاني الجميلة المعتقة ! ربما أدركت أنني
 أستحير من يتمي بنسب الكلمات.. تتقاطر عظامي قبل وجداني
 لحضنها المحمل لحضنها الشوك.. لحضنها النار.. لحضنها البرد والسلام..
 لحضنها الرمضاء لحضنها الريان..

لنكن كما شأنا أن تكون ... ستظل رحلتي مشدودة إليها.. غيمة
 لا ظل غيمة .. غيمة متجددة تنتظر الانهمار.



حكاية رجل خائن

بقلم : محجوبة الجللاصي

كنت أتخاشى الفراق.. كنت أكره الرحيل وألعنه، ها أنا الآن أخرجك من مناطق جنوني، ها أنا ألعنك، فأنت تعلم جيدا منذ أحببتك قلت لك إنني أريدك لي وحدي، لا تشاركني فيك أنثى أخرى ورغم هذا أنت خالفت طقوس عشقي ومارست خيانتك عبر الورق مع أنثى أخرى وكنت تبثها لواعج حبك في رسائلك الواهمة، كم احتقرك الآن أكثر وكم أحتقر نفسي لأنني صدقتك، كنت أظن أن حبك سيجعلني أقوى، أتحدى به العالم، الآن أراك غريبا عني.. ترتدي قناعا مزيفا.. الآن سأنسحب لكي لا يتسع جرحي أكثر.. فأنا أرفض حبك المزيف سأدفنه خارج قلبي ولن أبحر في عينيك ولن أقول لك: أنا بدونك لا شيء.. أنا بدونك لا أشعر بأنوثتي... لا أنا لست هكذا... ارحل الآن فكل الذي بيننا كان كذبة جميلة صدقتها بسرعة، فأنت الآن مفقود في خريطة جسدي بعد أن كنت دمي الذي يسري في جسمي... فأنا سيدي أعرف وجع الحب وأتلهذ حتى مرارته، ارحل لأصنع ربيعي في برجك الذي يعشقني وأعشقه، ارحل لأجوب شوارع القبروان وأحدثها عن جنوني وسذاجتي وأحدث عتبة عن انتصاري عليك... فالقبروان تشبهني في عشقي... خائن أنت مثل الآخرين والأنثى التي تحبها لن تحبك مثلي، هي لن تكون أحلى مني... هي ستكتشفك وتلفظك كما

يفعل البحر بالسّمك، فشكرا لك لأنك لم تكن أنت وشكرا لي لأنني ألعنك الآن... فلن أنتظر منك رسائل الكاذبة، لن أنتظر صوتك المشحون بخيانة فالطفلة ليست في حاجة... هي ستحدّك... هي ترفض أن تعشق رجلا مثلك من ورق، فلقد أعلنت إفلاسك في الحب معي... أنت لا تفهم لغة صمتي.. ولا لغة بوحى... أنت لا تفهم لغتي فلا تنتظري... فلقد تجاوزت حبك...

أسئلة الخطاب الروائي بين التحديث والمثاقفة

هاهو عصر الرواية قادم !

بقلم : صابر الحياشة

..... غير أنّ هذا المسلك من التحليل (على اختلاف التسميات التي وضعت له بنويما ما أو نصائيا أو سيميائيا أو تشريحيّا أو هيكليا أو أسلوبيا...) لم يكن ناهجا في جميع تطبيقاته، ولكنه مكّن الخطاب النقدي العربي في قطاع السرد الروائي - على الأقل - من تجاوز المسلكين السابقين (المشار إليهما أعلاه) بمجاوزا لا عودة فيه. ولكن مع ذلك لا بدّ من الإشارة على أنّ هذا النقد قد تمّ جلبه من سياق غربي متأثر بالتقدم في العلوم الإنسانية الحديثة ولا سيما علم اللسانيات، وقد كسدت سوقه في الغرب، إلا أنّ الأكاديميين العرب ظلّوا يعضّون عليه بالنواخذ إقرارا منهم - في وعيهم أو لا وعيهم - بأنّ لحظة التجاوز في السياق العربي لم تكن بعد. فكان أن عاش النقد الوصفي في الأوساط العربية بعد أن انتهى عمره الافتراضي في الوسط الأصلي الذي نبت فيه ونما وترعرع.....